المركز الإستشاري
للدراسات والتوثيق

محاور وحوار

سلسلة غير دورية تُعنى بمقاربة قضايا استراتيجية
ومسائل إنمائية مختلفة

معركة طوفان الأقصى

قراءة في التحدّيات وسرديات الصراع والأدوار المساندة

2023

العدد الثامن والعشرون - كانون الأول 2023

معركة طوفان الأقصى

قراءة في التحدّيات وسرديات

الصراع والأدوار المساندة

المركز الإستشاري للدراسات والتوثيق
the Consultative Center for Studies and Documentation
مؤسسة علميّة تُعنى بحقلي الأبحاث والمعلومات

محاور وحوار: سلسلة غير دورية تتضمن وقائع المؤتمرات والندوات وحلقات النقاش التي يعقدها المركز وتُعنى بمقاربة قضايا استراتيجية ومسائل إنمائية مختلفة.

صادر عن: المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق

العنوان: معركة طوفان الأقصى: قراءة في التحدّيات وسرديات الصراع والأدوار المساندة

حلقة نقاش عُقدت في المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق بتاريخ 20 كانون الأول 2023

تاريخ النشر: كانون الأول 2023

العدد: الثامن والعشرون

الطبعة: الأولى

القياس: 21×29

حقوق الطبع محفوظة للمركز

جميع حقوق النشر محفوظة للمركز. وبالتالي غير مسموح نسخ أي جزء من أجزاء التقرير أو اختزانه في أي نظام لاختزان المعلومات واسترجاعها، أو نقله بأية وسيلة سواء أكانت عادية أو الإلكترونية أو شرائط ممغنطة أو ميكانيكية أو أقراص مدمجة، استنساخًا أو تسجيلًا أو غير ذلك إلا في حالات الاقتباس المحدودة بغرض الدراسة والاستفادة العلمية مع وجوب ذكر المصدر.

العنوان: بئر حسن-جادة الأسد- خلف الفانتزي لاند - بناية الورود- الطابق الأول.

هاتف: 01/836610

فاكس: 01/836611

خليوي: 03/833438

Baabda 10172010 Postal Code:

Beirut- Lebanon

P. O. Box: 24/47

ccsd@dirasat.com

www.dirasat.net

الآراء الواردة في هذه السلسلة لا تُعبّر بالضرورة عن آراء

المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق

ثبت المحتويات

تمهيد 5
أولاً: الأوراق المفتاحية..... 9

مستقبل القضيّة الفلسطينيّة ومشروع المقاومة على ضوء معركة طوفان الأقصى والحرب على غزة
..... منير شفيق 9

المسارات المحتملة للحرب وانعكاساتها على المستويين العربي والدولي .....سعد محيو 13

تحليل خلفيّات الحرب وأهدافها ربطًا بمسار التطبيع والمشاريع الهادفة إلى دمج كيان العدو في المنطقة اقتصاديًّا وسياسيًّا..... محمد حسب الرسول 17

تفكيك السرديات السياسية والقانونية للصراع والتي أراد منها العدو وداعموه تبرير انتهاك القانون الدولي الإنساني وقوانين الحرب وحقوق الإنسان والقيم العالمية ..... علي فضل الله 23

سُبل استعادة العمق العربي والإسلامي والامتداد العالمي للقضية الفلسطينيّة في مقابل تعامل الغرب الواسع مع "إسرائيل" على أنها جزء لا يتجزأ منه ..... محسن صالح 27

تطوير الأعمال المساندة للمقاومة والشعب الفلسطيني في المجالات السياسية والديبلوماسيّة والثقافية والإعلامية والشعبيّة..... فارس أبي صعب 31

ثانيًا: توصيات ومداخلات مكتوبة..... 37
1-مداخلة عصام نعمان 37
2 – مداخلة علاء المولى 40

ثالثًا: التعقيب والنقاشات 43
أبرز الأفكار والمداخلات التي قدّمها المشاركون: 43

تمهيد

نظَّم المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق بتاريخ في 20 كانون الأول/ ديسمبر 2023 حلقة نقاش تحت عنوان: **معركة طوفان الأقصى: قراءة في التحدّيات وسرديات الصراع والأدوار المساندة**. انطلق النقاش من ورقة خلفية تضمنت الآتي:

1. لا شك أن معركة طوفان الأقصى، وبالتحديد ضربتها الافتتاحية في السابع من تشرين الأول/أكتوبر لعام 2023، كانت حدثًا استثنائيًا في تاريخ الصراع العربي- الإسرائيلي ومنجزًا تاريخيًا للشعب الفلسطيني ولخيار المقاومة. ومن المؤكد أن بعض آثار تلك الضربة قد ظهر ومنها الكثير لا يزال قيد التبلور، ومن هذه الآثار ما قد يستطيع العدو السيطرة عليه ومنها الكثير الذي من الصعب السيطرة عليه.

2. لقد أدت معركة السابع من تشرين الأول/ أكتوبر إلى توليد فرص كثيرة على المستوى الفلسطيني والإقليمي والعربي. فلسطينيًا، وأعادت الزخم للمشروع الوطني الفلسطيني وكرّست محوريّة القضيّة الفلسطينيّة في المنطقة بعد سنوات من محاولة طمسها وولّدت أفقًا جديدًا لمشروع التحرر الوطني الفلسطيني. على صعيد العدو كشفت الأحداث الأخيرة عن فُقّاعة الحصانة الإسرائيلية وأسقطت محاولة إنهاء القضية الفلسطينية وأعادت الكيان إلى طرح الأسئلة ذات الطابع الوجودي والتأسيسي، وحفّزت انقساماته العميقة والمتزايدة وظهّرته عبئًا على المشروع الغربي. وإقليميًا أكّدت عملية طوفان الأقصى على حضور مشروع المقاومة وتسَائُد جبهاته وصحّة الرهان عليه، وفرضت ضغوطًا كبيرة على مشاريع التسوية والتطبيع وألحقت مزيدًا من الوهن بمنظومة الهيمنة الأميركية في المنطقة.

3. إنّ إدراك واشنطن وكيان العدو لجسامة التداعيات المحتملة للعملية يُساعد على تفسير الحملة الغربية الصهيونيّة الهمجيّة ضد الفلسطينيين في قطاع غزة بحيث تظهر الحرب أنّها حرب الغرب الاستعماري ضد المنطقة كلها وليس الشعب الفلسطيني فقط. وتبدو الحرب الحاليّة كأنها خليطٌ من صدام الحضارات "والحرب على الإرهاب" والصراع الجيوسياسي. ولذلك بطبيعة الحال، ما دامت الحرب مستعرة وتسعى واشنطن لتحويلها إلى فرصة لترتيب توازنات المنطقة فيما يحاول الصهاينة القضاء على المقاومة الفلسطينية، فإنّ العديد من المخاطر والتحديات تبرز إلى جانب الفرص والمنجزات. بناءً على مجمل هذه القراءة بدأ محور المقاومة منذ اللحظات الأولى للحدث بتحديد دوره وسياساته بما يعزز من احتمال تحقيق المقاومة الفلسطينية لأهدافها. ولذلك اختار المحور اعتماد التدخل المتدحرج في الحدث جامعًا بين التحذير والتصعيد متبنّيًا خيار الغموض الاستراتيجي لإرباك حسابات العدو ومجاراة معركة قد تكون طويلة وانتقاء أفضل أشكال المساندة لغزة، وأجداها وتطوير ذلك وفق معطيات الميدان والوقائع السياسية المصاحبة له.

4. أيضًا، تطرح معركة طوفان الأقصى، والحملة الصهيونيّة الإباديّة التي أعقبتها، أسئلة محوريّة بخصوص التصورات المرتبطة بالصراع مع العدو، والتي تكشف عن الشرخ المتجدد في النظرة إلى القضيّة الفلسطينيّة. ومن نافلة القول إنّ مسعى واشنطن لوصم المقاومة الفلسطينيّة بالإرهاب وتجريدها من طابعها التحريري والتحرري الراسخ، يستكمل المسار نفسه لاتفاقات إبراهام والاعتراف بضمّ القدس والجولان ومساعي عزل القضية الفلسطينية عن امتدادها العربي والإسلامي الأوسع. وفي الضفة المقابلة تزداد القناعة بأن القضية الفلسطينيّة هي المحور التاريخي والسياسي والاستراتيجي لكل قضايا المنطقة، وأن المقاومة التي تتناقل شعلتها الأجيال هي الأسلوب الناجع لأبناء المنطقة، وبالخصوص الفلسطينيين منهم، لتقرير مصيرهم وامتلاك مستقبلهم.

5. إنّ المساندة الغربية المفتوحة وغير المسبوقة لـ "إسرائيل" في حربها الهستيريّة والإجراميّة على الفلسطينيّين وتبنّي مزاعمها وسرديّاتها دون تردّد، لم تأت من فراغ، ولا تريد طي نتائج الهزيمة العسكريّة المدوّية التي لحقت بها فحسب، بل تعبّر أيضًا عن التوق المتجدّد لدمج "إسرائيل" دمجًا تامًا في الغرب الواسع بل جعلها ركنًا أساسيًّا فيه، مع ما يتضمنه ذلك من مراجعات وترتيبات سياسيّة وعسكرية واقتصاديّة وثقافيّة. ولذلك كان ما رأيناه من دعم مفتوح ومساعدات سخيّة وإطلاق أوصاف قيمية وثقافيّة ودينيّة على مجريات الصراع. وفي هذا السياق لم تتورّع الحكومات الغربيّة عن وضع دعاواها عن القيم العالمية والقانون الدولي جانبًا، مكرّرة على نحو دعائيّ رطاناتها عن حقّ "إسرائيل" وواجبها في الدفاع عن النفس، وإدانة ما تزعم من استعمال المدنيّين دروعًا بشريّة في تبرير مكشوف لقتلهم.

6. لا ينفصل الحضور العسكري الأميركي المباشر في المنطقة عن الصراع على مستقبل النظام العالمي، والترتيبات الإقليميّة المتصلة به. وهذا البعد الذي يُراد إخفاؤه أو تجاهله ظهر على ألسنة المسؤولين "الإسرائيليين" الذين كرّروا ما قيل أثناء حرب تموز عام 2006 بأن الهدف النهائي هو قيام شرق أوسط جديد يتوّج حربًا حاسمة على مستقبل الإقليم. وفي مقابل ذلك، أدّت عمليّة طوفان الأقصى والحرب الانتقاميّة ضد غزّة إلى استعادة القضيّة الفلسطينيّة دورها المركزي في المنطقة، وموقعها المتقدّم في الحركة العالميّة المناهضة للاحتلال والهيمنة. وقد خلط هذا التحوّل أوراق واشنطن التي أرادت الإمساك بالمنطقة من خلال وضعها بين فكي كماشة التطبيع الملزم لحلفائها والحصار في معاقبة خصومها، قبل التفرّغ لهمومها العالميّة.

تضمّنت الحلقة، التي عقدت في قاعة مكتبة المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق، جلستي نقاش وشارك فيها نخبة من الباحثين والمعنيّين وافتتحت بكلمة لمدير المركز الدكتور عبد الحليم فضل اللّه رحّب فيها بالمشاركين معتبرًا أنّ الإشكاليات المطروحة في الندوة حاولت الخروج على السائد من أفكار في محاولة لسبر غور ما حدث في السابع من تشرين الأول/ أكتوبر، مشيرًا إلى أنّ العدو تحوّل في

مساره التاريخي من مجتمع قائم على فرضية الحرب الدائمة إلى مجتمع معولم في بداية التسعينيات بما يحاكي النيوليبرالية. وبذلك أصبح يعتني بالفرص (اقتصاديًّا وسياسيًّا) أكثر من اهتمامه بالمخاطر المباشرة، التي افترض أنها تراجعت بفعل أزمات الدول العربيّة المحيطة به. بالمقابل، كان العدو يواجه قوى مقاومة خارج الاندماج في منظومة العولمة مما حدا به إلى التّركيز على المخاطر الجيوسياسية وافترض أنّه أنهى التحدّي المتمثّل بالجيوش الكلاسيكية ليذهب نحو مسار التّطبيع مفترضًا أنّ المقاومة مهما شكّلت من خطر استراتيجي فلا يمكنها أن ترقى إلى خطر وجوديٍّ وهذا ما سقط في 7 أكتوبر.

في الجلسة الأولى قُدّمت ست مداخلات مفتاحيّة في العناوين المطروحة التالية:

1- مستقبل القضيّة الفلسطينيّة ومشروع المقاومة على ضوء معركة طوفان الأقصى والحرب على غزة/ **الكاتب والمناضل أ. منير شفيق.**

2- المسارات المحتملة للحرب وانعكاساتها على المستويين العربي والدولي/ **أ. سعد محيو** (قدّم ورقة ولم يتمكن من الحضور)

3- تحليل خلفيّات الحرب وأهدافها ربطًا بمسار التطبيع والمشاريع الهادفة إلى دمج كيان العدو في المنطقة اقتصاديًّا وسياسيًّا. / **د. محمد حسب الرسول.**

4- تفكيك السرديّات السياسيّة والقانونيّة للصراع، والتي أراد منها العدو وداعموه تبرير انتهاك القانون الدولي الإنساني وقوانين الحرب وحقوق الإنسان والقيم العالمية. / **د. علي فضل اللّه**

5- سُبل استعادة العمق العربي والإسلامي والامتداد العالمي للقضية الفلسطينيّة، في مقابل تعامل الغرب الواسع مع "إسرائيل" على أنها جزء لا يتجزأ منه. / **د. محسن صالح - مدير عام مركز الزيتونة.**

6- تطوير الأعمال المساندة للمقاومة والشعب الفلسطيني في المجالات السياسية والديبلوماسيّة والثقافية والإعلامية والشعبيّة. / **أ. فارس أبي صعب – مركز دراسات الوحدة العربية.**

وفي الجلسة الثانية، ناقش المشاركون أفكارًا حول الإشكاليات والمداخلات المقدّمة في الجلسة الأولى.

أولاً: الأوراق المفتاحية

مستقبل القضيّة الفلسطينيّة
ومشروع المقاومة
على ضوء معركة طوفان الأقصى والحرب على غزة

أ. منير شفيق*

السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته، أرجو من اللّه أن لا أخيّب ظن الإخوان في الكلمة التي سأتناولها.

أولاً، ثمة اتجاه فيه عنوان المحور الذي أريد أن أتحدث فيه وقد حمل عنوان مستقبل القضية الفلسطينية ومشروع المقاومة على ضوء معركة طوفان الأقصى والحرب على غزة، وهذا موضوع أراه يتحدث عن ما بعد هذه الحرب ويمكن أن أفترض منه بعض المعنى وأكمل في ما أراه ضرورة للتكلم فيه، ربما من بعيد أو قريب.

ثانيًا ثمة اتجاهات عدة أخذت تتناول الموضوع مفترضة إما انتهاء الحرب وخروج قيادة المقاومة (الجهاد الإسلامي، وحماس والفصائل) منتصرة، أو انتهاءها وفق سيناريوهات غربية ودولية للوضع في غزة كما القضية الفلسطينية ومن بينها حلّ الدولتين، وثمة اتجاه آخر يناقش مرة أخرى ما هو المشروع الوطني للشعب الفلسطيني.

بالنسبة إليّ، نحن ما زلنا في الحرب، وحرب ضروس، وينبغي لنا أن لا ننشغل بكيف ندعم المقاومة وصيغتها في غزة لنخرج بالنصر العسكري والسياسي وبهزيمة الكيان الصهيوني وأميركا.

ويجب أن يكون لدينا معادلة جديدة على ضوئها توضع استراتيجية المقاومة لمرحلة ما بعد انتصار المقاومة وقيادتها في الحرب.

لهذا سأركّز على قراءة تؤكد انتصار المقاومة بما يسمح بأن تُركَّز كل الجهود لدعمها على مختلف المستويات وتصعيدًا للحركات الشعبية، عربيًا وإسلاميًا وعالميًا، وخصوصًا ضد الكيان الإسرائيلي وأميركا، ومن ثم المضيّ في تعزيز الجبهات التي فتحها محور المقاومة في الجنوب اللبناني واليمن وسوريا والعراق.

---

* قيادي وكاتب عربي فلسطيني.

ثالثاً، توحيد الموقف الفلسطيني على أساس الالتفاف حول المقاومة وقياداتها ومقاوميها وجماهيرها في قطاع غزة.

وأضيف أن هنالك قراءة لميزان القوى العام الذي هو ليس في مصلحة الكيان الصهيوني وأميركا، وأنا أظن أن الموضوع الذي أريد أن أتكلم عنه بسرعة هو موضوع ميزان القوى العام الذي نواجهه في هذه المرحلة والذي له تأثيره على نتائج الحرب التي نترقبها، وهو ضروري ومهم لأنه يوجد هنالك اتجاه- وربما هو معذور- غير واثق أن المقاومة ستخرج منتصرة في هذه الحرب.

ويوجد اتجاه يقول بأن أميركا مصمّمة أن تذهب في هذه الحرب البرية حتى النهاية، وكذلك أنه لا يمكن لهذه المقاومة أن تقدر على الصمود طويلاً وأن تنتصر.

ولذلك أريد أن أركّز على هذه النقطة وأحاول أن أثبت أن المقاومة قادرة على الاستمرار وقادرة على الانتصار وأن المتوقع والذي يجب أن نعمل من أجله ولا نتوقع غيره هو انتصار المقاومة.

ولهذا سأتناول بنظرة سريعة ميزان القوى العام عالميًا حيث أميركا والكيان الصهيوني في حالة عزلة وتفاقم لسوء السمعة وأن ذلك لا يخفى على أحد بالنسبة لهم ولتعاطيهم. ثم إن الجبهة الغربية الداعمة أساسًا لأميركا وللكيان الصهيوني متصدّعة الآن ولم تعد كما كانت عليه في الأسبوعين الأولين من هذه الحرب. لنأخذ مثلاً مجلس الأمن عندما يصوّت 13 عضوًا ضد الموقف الأميركي وتمتنع بريطانيا عن التصويت وهذا يُحسب على حساب عزة أميركا والكيان الصهيوني.

أيضًا الاجتماع في هيئة الأمم المتحدة الذي أسفر عن وقوف 53 دولة ضد الموقف الأميركي والموقف الصهيوني، وطبعًا يوجد أناس يقللون من أهمية هذا الموضوع لأنه لا يأتي بنتائج مباشرة، وأنا أعتقد أنها ليست مسألة بسيطة بالنسبة لأي دولة أن تكون معزولة بهذا الشكل، حتى لو عاندت وكابرت ورغم الفيتو واستعمالها لهذا الفيتو.

أيضًا هناك الرأي العام، يوجد رأي عام عالمي دقيق جدًا وواضح جدًا حتى بايدن أعترف أن الكيان الصهيوني خسر هذه المعركة مع الرأي العام.,

وحتى بيان بايدن الذي بدا مؤيدًا للكيان الصهيوني إلا أن نقده لـ نتيناهو يزيد من عزلة نتنياهو بغضّ النظر عن تقييمات أخرى للبيان، وهذا البيان يزيد من عزلة نتنياهو وحتى من عزلة بايدن أيضًا.

فيما يتعلق بموقف الدول الكبرى، صحيح أن موقف الصين وروسيا والهند هي من المواقف التي لها قوة، ولكن أيضًا موقفهم بالمجمل هو ضد استمرار الحرب وضد الموقف الأميركي في هذا السياق.

الجانب الثاني، يتعلق بالموقف الإقليمي، صحيح أن الموقف العربي ليس له تأثير قوي ولكن بالرغم من ذلك يصوّب ضد ما تريده أميركا ويجب أن نعتبره وإن كان لا يستحق أي مديح لأنه مطلوب منه أكثر من

ذلك. ولكن بالمقياس السياسي يؤثر سلبًا على الموقف الصهيوني- الأميركي. ونحن ما يهمنا من هذا الجانب الفكري الأساسي. فالموقف العربي والإسلامي يمكن أن يوضع في خانة يمكن أن نصنفها ضد الموقف الأميركي وتزيد من عزلته.

أما محور المقاومة، فلا يوجد حاجة أن أتحدث عنه وعن أهميته، فالجبهة المفتوحة الآن في جنوب لبنان والتي تقدم الشهداء وقد تجاوزوا المئة حتى الآن، وتشكّل عاملاً مؤثرًا على مجريات المعركة الميدانية. وأما جبهة اليمن فحدّث ولا حرج عن أهميتها ودورها وتأثيرها وهي بمثابة تحدّ لكل التجارة العالمية وبالخصوص للسفن الإسرائيلية.

وكذلك الموقف السوري والموقف العراقي يجب أن يحسبا في ميزان القوى ضد أميركا.

نتجه الى الداخل في قطاع غزة يوجد هناك حربان وليس حرب واحدة، يوجد حرب ضد المدنيين وضد الأبنية والطرقات وهذه حرب يجب أن تنقطع عن الحرب الدائرة فيه.

هذه الحرب مؤلمة، ونحن لم يكن لدينا قدرة ولا أحد يمتلك القدرة على إيقافها، وهي حرب بالطيران، والطيران الأميركي بالذات، وأدخل كل طاقته حتى وصل عدد الشهداء الى أكثر من 20 ألفًا والجرحى تجاوز عددهم الـ 50 ألفًا ودُمّر أكثر من 70 في المئة من الأبنية.

والنقطة التي سوف أركّز عليها أن هذا في ميزان القوى تحوّل الى سوء سمعة للكيان الصهيوني وتم إسقاطه من الوضع الذي كان يحظى به عالميًا وأساء للموقف الغربي وخصوصًا الأميركي وأسقط من أيديهم الديمقراطية وحقوق الإنسان وكل هذه القضايا، وبالتالي حتى هذه الحرب المؤلمة جدًا والتي تشكّل ضغطًا شديدًا عليهم فإن نتائجها لا يُستهان بها لأنها تشوه وجه الكيان الصهيوني. وهذا باعتقادي سيؤثر على المستوى العالمي وسيؤثر على وجود الكيان الصهيوني مستقبلاً. لقد أمضى الكيان الصهيوني الـ 75 سنة الماضية كلها وهو يحاول أن يبيضّ صفحته بالنسبة للرأي العام، وهذا كله تدمّر، وهذا برأيي شيء مهم جدًا، ومن شأنه في المستقبل أن يسهّل ويمهّد لإنزال هزيمة بالكيان الصهيوني لتحرير فلسطين وترحيله عن فلسطين.

تبقى الحرب الثانية، وهي الحرب البرية، ففي هذه الحرب الدائرة في شمال غزة منذ 72 يومًا ثبت في الواقع أن كل نتائج هذه الحرب والخسائر الفادحة في الكيان الصهيوني في الضباط والجنود والآليات والدبابات وخسائر لم يتحمّل مثلها بتاريخه كانت تسقط في الحرب 20 دبابة أو 30 دبابة وكان لا يتحمل الخسائر البشرية، ولكن هذه المرة نحن نواجه عدوًا فقد صوابه، عدوًا ذُهل من نتائج طوفان الأقصى ومعه أميركا، حتى أنهم أعلنوا علنًا أنهم يريدون قتل المدنيين وارتكاب الجرائم ولن ينهوا هذه الحرب إلا بالقضاء على المقاومة وعلى حماس والجهاد وفصائل المقاومة الأخرى.

هذا موقف لم يكن موجودًا في السابق. في عام 1948 كان يُحسب على العدو الإسرائيلي العشرات من المجازر، ولكن لم يعترف يومًا بواحدة من هذه المجازر حتى دير ياسين اعتبرها من فعل المنظمة اليهودية. أما في هذه المرة فقد أعلن على المكشوف: نحن نرتكب المجازر لقتل المدنيين ولقتل الأطفال وهدفنا الانتقام، وأنهم لا يبالون بالقانون الدولي ولا بالرأي العام العالمي، وهذا ليس عمل أناس يعملون في السياسة لا في أميركا ولا حتى في الكيان الصهيوني.

هذه المرة فقدوا صوابهم وهم ذاهبون- حتى هذه اللحظة- في المعركة ومستمرون فيها بالرغم من الإرادة العالمية والقوة العالمية كلها التي يتجاهلون رؤيتها.

ولكن هذه الحرب البرية، مستحيلة بالنسبة للمهاجمين الصهاينة لأنهم يواجهون عدوًا محصنًا في الأنفاق، وهم يدخلون بدباتهم وهم لا يعرفون مكان هذه الأنفاق.

إذن كل ما حصل من اشتباكات هي ضمن مبادرة هجومية وضمن دفاع من المقاومة، فبالتالي أن حرب غزة المهاجم فيها هو في الواقع المدافع والمدافع هو المهاجم، وحتى الآن كل نتائج هذه الحرب هي من مصلحة المقاومة وليس في مصلحة الكيان الصهيوني.

وكل ما نسمعه من عنجهية ومن تصميم من جانب الكيان الصهيوني يأتي مناقضًا لميزان القوى في الميدان على مستوى غزة وبالتالي مهما حاول نتنياهو وجماعته فلن يستطيعوا أن يكسبوا هذه المعركة وسيهزمون في هذه القضية.

وإن شاء الله سيتحقق الانتصار، وعندما يتحقق هذا الانتصار، وإذا استطاعوا أن يبتلعوا وجود القسام وسرايا القدس وبقية فصائل المقاومة في غزة وقرب غزة، عندئذٍ نكون قد دخلنا في مرحلة جديدة.

ومن هناك توضع الاستراتيجيات لأن كل حديث الآن عن مستقبل أو عن انتصار لا يكفي لكي ننطلق منه للحديث عن المرحلة القادمة وكيف سينتهي هذا الانتصار وبأي مستوى، من هناك نستطيع الحديث عن مرحلة ما بعد طوفان الأقصى، وعند الانتصار نتحدث عن هذا الموضوع، وساعتئذٍ لكل حادث حديث.

المسارات المحتملة للحرب
وانعكاساتها
على المستويين العربي والدولي

أ. سعد محيو*

إقليم المشرق المتوسطي (المنطقة العربية- الإسلامية) دخل برمّته منذ طوفان الأقصى في 7 تشرين الأول/أكتوبر لعام 2023 مرحلة تاريخية كبرى جديدة ستحدّد مصيره لسنوات عدة مقبلة، والأهم: مصير "المعركة الأبدية" من أجل فلسطين.

ونسارع فورًا أيضًا إلى حشد أسباب هذه الخلاصة، والتي تتجاوز بأشواط مسألة المعارك العسكرية الراهنة الدائرة الآن في غزة على رغم أهميتها القصوى:

أولًا، أطلق الطوفان العنان للمعركة الكبرى في الإقليم بين مشروعين إقليميين كبيرين:

الأول علني، متبلور، وواضح المعالم، يستند إلى تحالف استراتيجي واقتصادي وحتى ثقافي (التطبيع الكامل) بين "إسرائيل" والسعودية وبقية دول الخليج والأردن والمغرب، برعاية وإشراف الولايات المتحدة؛ ويستند أساسًا إلى الاعتراف الخليجي، الضمني والعلني، بحق اليهود التاريخي في فلسطين وبالتالي بحقهم في تهجير من تبقى من الفلسطينيين.

والثاني، مشروع إقليمي تحرّري لا يزال غير متبلور وغير واضح المعالم والأطراف، لكن تجلياته الشعبية أكثر من جاهزة لحمله على الأكف في كل منطقتنا.

صحيح أن المحور الإيراني، الذي يشكّل العمود الفقري للمشروع الثاني، يتجسّد في حركات مقاومة مسلّحة في المنطقة العربية (من فلسطين ولبنان وسورية والعراق إلى اليمن) تُجاهر برفضها للمشروع الأول ولا ترفض دور "إسرائيل" المركزي في المنطقة فقط بل ترفض أيضًا وجود هذه الكيان نفسه، إلا أن مشروعها الإقليمي لايزال عموميًا ويكاد يقتصر على الرفض والممانعة، على رغم الأحاديث العابرة لدى بعض أوساط هذا المحور عن ضرورة "التوجّه شرقًا" نحو الصين وروسيا ومنظومة البريكس وشانغهاي لبناء نظام إقليمي جديد.

---

* باحث وكاتب سياسي لبناني.

ويزداد هذا المشروع الثاني ضبابية بسبب عدم اتضاح موقع مصر وتركيا فيه، وهما اللتان تشكّلان (كما هو معروف) ضلعي المثلث الذهبي الثلاثي مع إيران المكوّن لكل تاريخ وحضارة المنطقة العربية-الإسلامية.

هنا لا بد من الإشارة إلى أن انتفاضة غزة، ومهما كانت النتائج التي ستسفر عن هذا الحدث التاريخي الجلل، ضعضعت بضربة واحدة النظام الإقليمي الذي أقامته الولايات المتحدة و "إسرائيل" بعد حرب 1967، وهزّت بعنف نماذج النظام الإقليمي متعدد الصيغ الذي كانت واشنطن تُحاول تطبيقه منذ العام 1991، مرة بالتفاوض ومرات بالحروب، والذي تجسّد أخيرًا في مشروع الممر الاقتصادي من الهند إلى "إسرائيل" مرورًا ببعض دول الخليج، الذي كان يُفترض أن يتوّج عملية التطبيع بين المملكة العربية السعودية والكيان الصهيوني.

لكن، وفي الوقت نفسه، فإن المحور الثاني بقيادة إيران وعلى رغم إنجازاته الراهنة، لن يستطيع بمفرده إقامة نظام إقليمي جديد (ولا أيضًا تركيا التي حاولت ذلك هي أيضًا منذ 2011، وقبلها مصر الناصرية)، حتى ولو كانت مدعومة من روسيا والصين. وهذه المسألة، أي عجز أي طرف في المثلث الذهبي عن التفرّد في إقامة نظام إقليمي، ليست مسألة راهنة تتعلّق بعائق القوة الإمبراطورية الأميركية وحدها، بل هي حقيقة تضرب جذورها عميقًا في التاريخ عبر ثلاثة مؤشرات:

1- أن كل الإمبراطوريات في تاريخ المنطقة، من الحثيين والفرس والفراعنة إلى العرب والعثمانيين، لم تكن لتستطيع إقامة نظامها الإقليمي إلا بالتمازج (وليس بالضرورة التوافق) بين هذه الأطراف الإقليمية الكبرى الثلاثة.

2- أن النظام الإقليمي الذي أقامته بريطانيا وفرنسا، ثم الولايات المتحدة، في العصور الحديثة في ما يسمّى الشرق الأوسط، قام على أساس استخدام لعبة الكراسي الموسيقية بين مصر وتركيا وإيران. فمثلًا، حين "تمردّت" مصر الناصرية على النظام الأميركي - الإسرائيلي، حرّكت واشنطن ضدها أنقرة وطهران (ومعهما بالطبع تل أبيب الوافدة حديثًا إلى النظام). وحين "تمرّدت" إيران الخميني على النظام، حرّضت واشنطن ضدها تركيا ومصر.. وهكذا.

3- تركيا، وقبلها مصر الناصرية، حاولت إقامة نظام إقليمي جديد بمفردها (العثمانية الجديدة)، لكنها عجزت عن ذلك. والأرجح الآن أن تعجز إيران عن هذا إذا ما بقيت دعوتها إلى النظام الجديد بمعزل عن طرفي المثلث الذهبي الآخرين.

قد يقال هنا أن الخلافات الإيديولوجية والجيوسياسية بين مصر وتركيا وإيران، وبغضّ النظر عن لعبة الكراسي الموسيقية الأميركية، عميقة وشاسعة بحيث تعيق حتى أي تفكير بالحوار ناهيك عن التعاون. وهذا صحيح.

لكن، في المقابل ثمة عوامل جديدة لا تدفع إلى التوافق على الإيديولوجيا والمصالح المنفردة للدولة-الأمة في كل منها، فحسب بل تدفع أيضًا إلى التفاهم على صيغة وستفالية جديدة بينها توقّف التدخلات الخارجية لكل منها في شؤونها الداخلية، وتحظر التوغلات الإيديولوجية، وخاصة المذهبية منها، في التراكيب الدينية الراهنة.

من هذه العوامل أن الولايات المتحدة، الغارقة في أزماتها الداخلية الاجتماعية- الثقافية والاقتصادية ومعاركها الخارجية المُستنزفة مع روسيا والصين، لن تستطيع بسهولة (بعد طوفان الأقصى) إقامة أي نظام إقليمي جديد في المنطقة، إلا بعد حرب إقليمية عامة تكاد تكون عالمية. وأصلًا هي لم تكن تريد إقامة ترتيبات لتحقيق الاستقرار والسلام في هذا الإقليم (كما ادعى الرئيس بايدن في مقال له مؤخرًا في "واشنطن بوست")، بل تريد في الواقع الانسحاب من الشرق الأوسط والتفرّغ لمنطقة شرق آسيا / الباسيفيك التي تسيطر الآن على نحو 60 في المئة من حجم التجارة العالمية، عبر تسليم "إسرائيل" قيادة هذه الترتيبات الإقليمية الجديدة .

الولايات المتحدة جرّبت منذ العام 2001 تغيير المنطقة بحروبها في أفغانستان والعراق، والتي كان يفترض أن تتمدد سريعًا إلى سورية وإيران. وحين فشلت، لجأت منذ العام 2011 إلى تفجير المنطقة من داخلها ونشر الفوضى التامة فيها. والآن، وبعد زلزال غزة، سيتعمّق على الأرجح هذا التوجّه الأميركي لنشر الفوضى، وسيطال حتمًا (وهو بدأ يطال بالفعل) تركيا ومصر وبالطبع إيران.

وفي الوقت نفسه، اتضح من مشروع الممر الاقتصادي الهندي- الخليجي- الإسرائيلي أن كلًا من مصر وتركيا مقصيتان عنه، إلا ربما كأطراف هامشية تابعة أو ملحقة بالنظام الإقليمي لهذا المشروع. وهذا ينطبق على وجه الخصوص على مصر التي تتعرّض الآن إلى "حصار وحشي" (على حد تعبير محلل روسي على رغم تحالفها مع الولايات المتحدة) يتمثّل في شق قناة بن غوريون المنافسة بقوة لقناة السويس (لأنها عملية أكثر منها)، واستمرار محاولة خنقها المائي عبر سد النهضة الإثيوبي، والجهود الإسرائيلية- السعودية لإبعادها عن البحر الأحمر، وإشعال الحرائق في حديقتها الخلفية في السودان وليبيا، وأخيرًا عبر محاولات تهجير مليوني فلسطيني إلى أراضيها في سيناء.

ربما بات واضحًا الآن أن ما تجابهه منطقتنا بعد زلزال غزة وما سيليه من تطورات مفاجئة كبرى، يرقى بالفعل إلى مرتبة الخطر الوجودي الحقيقي على إقليمنا برمّته وعلى حضارتنا برمّتها وليس على فلسطين فقط. كما أنه في الوقت نفسه يوفّر فرصة هائلة كي يستعيد إقليمنا الحضاري الكبير استقلاله وحريته ودوره التاريخي الموحّد في العالم ويضع مسألة تحرير فلسطين على رأس جدول أعماله مرة أخرى.

وهذا ما يفرض على قادة المشروع الإقليمي الثاني بلورة هذا المشروع في صيغ محدّدة وواضحة اقتصاديًا وثقافيًا واستراتيجيًا، بالتوافق مع الصين وروسيا وقوى البريكس، كي تتمكّن منطقتنا من إجهاض المحاولات الأميركية الكثيفة لإنقاذ مشروعها الإقليمي الذي تداعى بالفعل إثر طوفان الأقصى، بفعل انكشاف هشاشة قاعدته الأساسية: الكيان الصهيوني.

لقد أشرنا في البداية إلى أن منطقتنا دخلت بالفعل بعد حرب غزة مرحلة تاريخية كبرى جديدة. ونقول الآن إن أي تلكؤ من جانب النخب الحرّة في إقليمنا المشرقي المتوسطي في تقدّم الصفوف لخوض معركة النظام الإقليمي المستعّرة بقوة الآن، سيدفع منطقتنا (لا سمح الله) إلى هوامش التاريخ مجدّدًا.

تحليل خلفيّات الحرب وأهدافها
ربطًا بمسار التطبيع والمشاريع الهادفة
إلى دمج كيان العدو في المنطقة اقتصاديًّا وسياسيًّا

د. محمد حسب الرسول*

بعد أن فاقت "إسرائيل" من صدمة عملية طوفان الأقصى التي قامت بها حركة "حماس" في السابع من تشرين الأول/أكتوبر، أطلقت الحكومة الإسرائيلية عملية "السيوف الحديدية"، وهي حرب وعدوان جوي وبري وبحري متكامل على قطاع غزة، استخدم فيه "الجيش الإسرائيلي" قوة أفرطت في الإماتة والتدمير.

بعد تنفيذ كتائب عز الدين القسام لعملية "طوفان الأقصى" وقُبيل بدء العدوان الإسرائيلي على غزة، قال بنيامين نتنياهو رئيس الحكومة الإسرائيلية: "سوف نسحق حماس وندمرها"، واعتبرت "إسرائيل" أن هذه الكلمات الأربعة تمثل هدف عملية "السيوف الحديدية"، بيد أن إرباكًا واضطرابًا كبيرين لازما هذه العملية منذ لحظتها الأولى، لا سيّما وأن "إسرائيل" كانت تعد عدتها لمباغتة المقاومة الفلسطينية بعدوان جديد في غزة لتحقيق أهداف تكتيكية واستراتيجية.

يبدو أن أسر كتائب القسام لنحو 240 إسرائيليًا، وسيطرتها على مراكز استخبارية حساسة، ونقل محتوياتها من البيانات والمعلومات إلى داخل غزة وربما إلى خارج فلسطين قد أحدث إرباكًا واضطرابًا عند القيادة الإسرائيلية وجعلها تائهة لأول وهلة بين خطة حرب جرى الإعداد لها سلفًا لتحقق أهدافًا صيغت قبل "الطوفان"، وبين هدف انتقامي ولد من هول الصدمة التي أحدثها "الطوفان"، وقد لخصت مقولة نتنياهو "سوف نسحق حماس وندمرها" حالة من الإرباك ونزعة نحو الانتقام والتشفي.

خلفية الحرب

جاء عدوان "السيوف الحديدية" ضمن سلسلة الحروب والعمليات العسكرية الصهيونية التي شُنّت على الفلسطينيين قبل تأسيس "دولة إسرائيل" وبعدها، إذ ليس ثمة فصل بين حرب 1948 وما قبلها من حروب ومجازر، وما تلاها، فهو مسار واحد متسق، يُعبر عن طبيعة المشروع الصهيوني في فلسطين

* باحث وكاتب سياسي سوداني.

والمنطقة، ويُعرف أدوات الفعل الصهيوني الذي يتخذ من الحروب وسائل لتنفيذه وتنزيله على الأرض واقعًا ملموسًا.

وتجيء حرب "السيوف الحديدية" كذلك ضمن نسق الحروب الأميركية العسكرية والسياسية في المنطقة، والتي تهدف إلى تهيئة الظروف الملائمة لفرض الهيمنة الأميركية - الصهيونية، من خلال مشروع الشرق الأوسط الجديد، الذي "سَكّت" بريطانيا مصطلحه مع بداية تشكل الحركة الصهيونية في نهاية القرن التاسع عشر، وتبنته البحرية الأميركية عام 1902، واعتمده الكونغرس في عام 1983، وعُرف حينها بمشروع برناند لويس، وقد تبنى شيمون بيريز مشروع الشرق الأوسط الجديد/الكبير في كتابه مكان تحت الشمس الذي أصدره عام 1996، وقد أكدت أميركا حرصها الأكيد على هذا المشروع حين نشرته في آذار/مارس 2004 مؤسسة كارنيجي للسلام الدولي كجزء من الأعمال التحضيرية التي تقوم بها الإدارة الأميركية لقمة مجموعة الثماني في حزيران/يونيو 2004، وأعلنته كونداليزا رايس هدفًا استراتيجيًا للحرب الإسرائيلية على لبنان في تموز/يوليو 2006.

لقد جاءت "السيوف الحديدية" بعد نجاح "إسرائيل" في توسيع عملية التطبيع بإضافة دول عربية جديدة إلى قائمة الدول المطبعة، وبعد إنتاج الإبراهيمية كدين جديد تتبنى دولة عربية نشره على "أنقاض" الدين الإسلامي، وأنشأت من أجل ذلك المراكز البحثية و "الدعوية" واشتغلت على إدخال المسلمين فيه دولًا وأفرادًا ومجتمعات.

لحرب "السيوف الحديدية" سياق آخر، وهو السياق المتصل بالمتغيرات والتطورات الإقليمية والدولية، فقد جاءت هذه العملية في أعقاب احتدام الصراع الدولي حول مستقبل النظام الدولي الذي تتجلى صوره في حرب أوكرانيا، وفي الصراع المحتدم بين الشرق والغرب في أفريقيا مستودع الموارد الطبيعية وقارة المستقبل، كما يتجلى في التحدي الذي تمثله مبادرة الحزام والطريق الصينية، والتطور الذي حدث في منظومة البريكس، والتقدم الذي مكن من تعزيز تماسك محور المقاومة عبر عنوان وحدة الساحات، وفي تطور قدراتها في الممانعة والمقارعة والمدافعة.

أهداف الحرب

أرادت "إسرائيل" من حرب "السيوف الحديدية" في طورها الأول، أن تحقق لها أهدافًا تكتيكية، وأخرى إستراتيجية، غير أن "سحق حماس وتدميرها" برز كهدف يغلب عليه الغضب الذي أشعلته عملية "طوفان الأقصى"، ولئن بدأت "السيوف الحديدية" حربًا للانتقام والتشفي لما لحق بصورة "إسرائيل" الداخلية والخارجية من تهشم جراء الطوفان، فإن الأميركي "مصحح الضرب الإسرائيلي" بذل جهده لإيقاظ "الوعي" في "إسرائيل" بأهداف الحرب التكتيكية والاستراتيجية.

الأهداف التكتيكية

أضعفت سياسات بنيامين نتنياهو حالة التماسك السياسي والاجتماعي في "إسرائيل" وبشكل خاص سياسته المتصلة بإعادة ترتيب الأوضاع القانونية عبر التعديلات التي أرادها في المجال القضائي، والتي أحدثت انقسامًا عموديًا في المجتمع الإسرائيلي أدخل "الدولة" في أزمة سياسية عميقة، وأضعفت جدًا من قدرة نتنياهو في قيادتها، كما أضعفت حظوظه المستقبلية، وكعادتها، تلجأ الحكومات الإسرائيلية إلى معالجة أزماتها الداخلية من خلال إشعال حروب خارجية تستدعي عبرها قدر من التماسك بين المكونات السياسية الإسرائيلية، وقد مثل ذلك هدفًا تكتيكيًا لعملية "السيوف الحديدية".

الأهداف الاستراتيجية

ترتبط أهداف "إسرائيل" الاستراتيجية دومًا بطبيعتها كدولة وظيفية صممت لخدمة المشروع الكولنيالي الغربي بأبعاده الحضارية والاقتصادية والسياسية، في موقع في فلسطين بموقعها الجيواستراتيجي الذي وضعها على تماس مباشر مع موارد وثروات وأسواق آسيا وأفريقيا، كما ترتبط هذه الأهداف بمراحل تطور المسار الوظيفي لهذه "الدولة" وفقًا لأسس نشأتها الأيديولوجية، وبحسب سياقتها المستقبلية التي تتفاعل مع المتغيرات على المسرح الإقليمي والدولي في إطار لعبة وصراع الأمم. وبالنظر لذلك، يمكن تلخيص الأهداف الاستراتيجية لحرب "السيوف الحديدية" في **ما يلي:**

أولًا: استكمال تمدد "الدولة" في جغرافيا فلسطين، وبشكل خاص في جنوبها

من المعلن أن حدود "دولة إسرائيل" لم تحدد بشكل قاطع ودقيق كما هو الحال في بقية دول العالم، والمعروف أنها تحددت بين الفرات والنيل دون تعيين أو ترسيم، بيد أن فلسطين كل فلسطين هي مركز هذه "الدولة"، ويحدث التاريخ عن التوسع الدائم الذي ظل سمة رئيسة للسياسات الإسرائيلية على مر الحقب، وتقف الضفة الغربية شاهدًا على السياسات التوسعية لـ "إسرائيل"، لهذا فإنّ تمددها في جنوب فلسطين بصفة عامة، وفي غزة بشكل خاص، يعبر عن تلك السياسات المرتكزة إلى مصالح استراتيجية تقوم على أبعاد أمنية واقتصادية، وتنطلق من مرجعيات دينية، فقد ورد ذكر غزة وبعض مدن جنوب فلسطين في الكتاب المقدس، كما ورد الساحل الفلسطيني كذلك، وقد جاء في نبوءات الكتاب المقدس، وفي أسفار إرميا وعاموس ذكر لغزة ولعسقلان وللساحل مرتبطًا بتلك النبوءات، وجلّت تلك الأسفار مكانة الجنوب الفلسطيني في العقيدة التوارتية، ومن بين ما ورد: "لِأَنَّ غَزَّةَ تُكُونُ مَتْرُوكَةً، وَأَشْقَلُونَ لِلْخَرَابِ. أَشْدُودُ عِنْدَ الظَّهِيرَةِ يَطْرُدُونَهَا، وَعَقْرُونُ تُسْتَأْصَل"، "وَيَكُونُ السَّاحِلُ لِبَقِيَّةِ بَيْتِ يَهُوذَا. عَلَيْهِ يَرْعُونَ. فِي بُيُوتِ أَشْقَلُونَ عِنْدَ الْمَسَاءِ يَرْبُضُونَ، لِأَنَّ الرَّبَّ إِلَهَهُمْ يَتَعَهَّدُهُمْ وَيَرُدُّ سَبْيَهُمْ".

ثانيًا: طرد السكان الأصليين وتهجيرهم وإبادتهم

ظل هاجس إخلاء فلسطين من سكانها الأصليين هدفًا استراتيجيا ثابتًا في الفكر والعقيدة الصهيونية، بدأت تنازلاته منذ البدايات الأولى للحروب الصهيونية في فلسطين على يد منظمات الهاجانة والأرغون، الأمر الذي أسهم في أشعل فتيل الثورة الكبرى في فلسطين (1936 – 1939).

بدا واضحًا مع بداية الحرب الإسرائيلية على غزة أن تهجير سكانها هدفًا استراتيجيًا للحرب، أكدته "إسرائيل" وتبنته أميركا، وسعتا معًا إلى تنفيذه من خلال محاولاتهما اللحوحة لتهجير فلسطيني غزة إلى سيناء، وقد شكل ذلك أبرز أجندة الدبلوماسية الأميركية في المنطقة خلال الشهر الأول للحرب، وقد عبرت مصر عن رفضها لعملية التهجير وساندتها دولًا عربية كثيرة.

ظل أمر تهجير الفلسطينيين حاضرًا في الأجندة والخطاب الصهيوني منذ إطلاق المشروع الصهيوني في فلسطين، وقد كان شتات الفلسطينيين عبر تاريخ القضية الفلسطينية شاهدًا على تمسك "إسرائيل" به، وقد شهدت فترة ثمانينات القرن الماضي علوًا للخطاب الصهيوني الداعي للتهجير، واتسق علو ذلك الخطاب مع خطاب ديفيد بن غوريون أمام اجتماع للوكالة اليهودية في عام 1948، قال فيه: "أنا أحبذ الترانسفير بالقوة، ولا أجد في ذلك أي شيء يخالف الأخلاق"، ولئن قدمت هذه المقولة بشكل جلي وواضح موقع التهجير في الفكر والأجندة الإسرائيلية، فإنّ ذات المقولة قد حددت واختارت بذات الوضوح الطريقة التي ينبغي على السلطات الإسرائيلية اتباعها لفرض التهجير على الفلسطينيين، وأبانت المقولة كذلك أن التقتيل والإبادة هي الوسيلة المعتمدة لدى "إسرائيل"، والحديث عن موقف بن غوريون من التهجير يذكر بكثرة استخدامه لمصطلح "الترانسفير" ومصطلح "غيروتس"، الذي يعني الطرد باللغة العبرية.

وقد أكدت وقائع الحرب الإسرائيلية المستمرة في غزة منذ نحو 3 أشهر على غزة، أن الإفراط في استخدام العنف وقتل وجرح آلاف الأطفال والنساء والشيوخ، وحرمان سكان غزة من المياه والطعام والدواء، وتدمير آلاف المساكن وعشرات المستشفيات والمدارس، يهدف إلى طرد الفلسطينيين وتهجيرهم وإبادتهم، كما أكد أن الإسرائيليين وفي كل الحقب يقرأون من كتاب واحد، ويعتمدون منهجًا واحدًا ينتهك كل المبادئ والقوانيين والمعاهدات الدولية المعنية بحقوق الإنسان.

ثالثًا: ضرب الحاضنة الاجتماعية وتصفية المقاومة

المقاومة كفكرة وكمشروع هي عنوان المجتمع التي تحدث عن قيمه ومعتقده وموروثه الثقافي وتوجهاته الحضارية، ولقد تميز مجتمع غزة بخصائص فريدة، أسهمت في نجاح المقاومة، وعبرت عن قدرة هذا المجتمع في ضمان استمرارية المقاومة برفدها بقدرات وطاقات بشرية، وإسنادها بصبره وجلده، وبنشر ثقافة المقاومة، وبسط القيم التي تجعل منها واجبًا دينيًا ووطنيًا، لهذا، ظلت آلة الحرب

الإسرائيلية تعمل خلال كل الحروب التي شنتها على غزة لتجعل منها أرضًا محروقة، ومكانًا غير صالح للسكن، وهذا الذي يفسر الحصار الذي ضرب عليها منذ اشتداد عود المقاومة في عام 2006 وحتى الآن، ويفسر سعيها الدؤوب إلى اختراق هذا المجتمع، وإلى ضرب منظومته القيمية بشتى السبل، لتتكامل مفاعيل الحرب الناعمة مع الحرب القذرة الأخرى التي تُزهق فيها الأرواح وتُدمر فيها الحياة، والهدف من كل ذلك هو ضرب هذا المجتمع ومن ثَم ضرب المقاومة واجتثاثها كما قال نتنياهو.

رابعًا: قطع الطريق على مبادرة الحزام والطريق الصينية

أطلقت الصين في عام 2013 مبادرة الحزام والطريق، وتعد هذه المبادرة واحدة من مبادرات الاستراتيجية الصينية للعام 2050، وتستهدف المبادرة تعزيز ريادة الصين للاقتصاد العالمي، ومن ثم تعزيز مكانتها العالمية وتعظيم قدرتها على في القيادة الكونية، وتستهدف هذه المبادرة آسيا وأفريقيا وأوروبا، وتتخذ طرقًا برية وبحرية تعبر هذه القارات وتصلها ببعضها البعض، وتتخذ من البحرين الأحمر والأبيض ممرين بحريين رئيسيين، لكل ذلك، فإن هذه المبادرة تتصادم من حيث طبيعتها وجغرافيتها وأهدافها مع المشروع الأميركي-الإسرائيلي، وتشتبك معها في منطقة الشرق الأوسط.

يثير البعد الاقتصادي في مبادرة الطريق والحزام قلق أميركا و "إسرائيل" بسبب ضخامة المشروعات المكونة لهذه المبادرة، وبسبب انعكاساتها المحتملة على مضاعفة قدرات الصين الاقتصادية وعلى تعميق شراكة الصين الاقتصادية مع الدول الآسيوية والأفريقية والأوربية، ولما لذلك من تأثيرات سلبية محتملة على دور ومصالح الولايات المتحدة الأميركية في هذه القارات، وعلى مكانتها العالمية، وعلى دور "إسرائيل" الاقتصادي ومكانتها العالمية كمركز غربي متقدم في مجالات الإبداع والتكنولوجيا.

من جانب آخر، تمكن هذه المبادرة الصين من التوسع في مجالات حيوية واستراتيجية تؤثر على مؤشرات ومعادلات الأمان الاستراتيجي الإقليمي والدولي، وقد يمكنها من نسج شراكات وتحالفات استراتيجية تغير من خرائط الشراكات والتحالفات الاستراتيجية التي نسجت بعد الحرب العالمية الثانية وتعززت بعد سقوط الاتحاد السوفيتي والتي مكنت من تربع أميركا في منصة قيادة المنظومة الدولية، وقد يؤثر ذلك بشكل كبير على مكانة "إسرائيل" ودورها كدولة وظيفية تضطلع بأدوار استراتيجية لصالح المنظومة الغربية تحت قيادة أميركا ولصالح الصهيونية على اختلاف عناوينها الدينية وتمثلاتها الحركية.

خامسًا: تعزيز حظوظ مبادرة طريق توابل/بهارات مقابل الطريق والحزام

من نيودلهي التي احتضنت في غياب الصين قمة مجموعة العشرين في الفترة من 9-11 أيلول/ سبتمبر الماضي تحت شعار "العالم أرض واحدة، عائلة واحدة، ومستقبل واحد"، أعلن الرئيس الأميركي جو بايدن بمشاركة قادة الهند والسعودية والإمارات مشروع طريق التوابل/ البهارات، لتعزيز التواصل

والتعاون بشراكة "إسرائيل"، وتقوم فكرة المشروع على جمع اقتصاديات الولايات المتحدة والهند والسعودية والإمارات وفرنسا وألمانيا وإيطاليا و "إسرائيل"، وتعزيز هذا الربط عبر مشروعات بنى تحتية تمكن من تحقيق أعلى درجات الربط الاقتصادي بين هذه الدول، وتمكنها من اكتساب مزايا استراتيجية في مجال الاقتصاد بصفة خاصة وفي المجالات الاستراتيجية كافة.

ينافس هذا المشروع مبادرة الحزام والطريق الصينية، في مجالات الاقتصاد والسياسة والأمن والنفوذ الإقليمي والدولي، وكانت أميركا قد أبدت اعتراضها على مبادرة الطريق والحزام الصينية منذ إطلاقها قبل 10 أعوام، كونها تعزز مكانة الصين على المسرح العالمي خصمًا على النفوذ والمصالح الاستراتيجية الأميركية والإسرائيلية.

من أهم مزايا مشروع طريق بهارات أنه يمكن أميركا و"إسرائيل" من امتلاك قدرات تفضيلية وتنافسية عالية على المسرح العالمي، ومن نسج شراكات استراتيجية إقليمية ودولية، ويمكنهما من تعزيز قدرتهما في ميزان الأمن والأمان الاستراتيجي، كما يمكنهما من التأثير الاستثنائي على مصادر الطاقة (النفط والغاز) وممراتها على البحرين الأحمر والأبيض، خاصة وأن هذا المشروع قد جمع بعض أكبر منتجي النفط والغاز تحت مظلة هذا المشروع، الأمر الذي يؤثر على نقل وتجارة الطاقة في الأسواق الأوربية. جدير بالذكر الإشارة إلى أن هذا الطريق قد بدأ اختباره منذ اشتداد الضربات اليمنية على السفن العابرة لمضيف باب المندب، وبعد تزايد مفاعيل الحظر الذي ضربته على البضائع المتجه إلى الموانئ الإسرائيلية، في إطار معادلة يمنية تربط بين حصار "إسرائيل" لغزة، وحصار اليمن لـ "إسرائيل".

إنّ أداء المقاومة الفلسطينية في غزة في مواجهة الحرب الإسرائيلية عليها قد وضع تحقيق الأهداف الإسرائيلية-الأميركية أمام سؤال فلسفي كبير حول مستقبل القدرة المادية في مواجهة قدرة الحق والإيمان، وهو سؤال ترسم المقاومة في فلسطين ولبنان واليمن معالم الإجابة عليه في كل عملية تقوم بها، أو حرب إسرائيلية تتصدى لها، ولقد "دشنت" المقاومة منذ بداية هذه الألفية صفحة جديدة في التاريخ تنتصر فيه العين على المخرز والدم على الرصاص.

تفكيك السرديات السياسية والقانونية للصراع
والتي أراد منها العدو وداعموه تبرير
انتهاك القانون الدولي الإنساني وقوانين الحرب وحقوق الإنسان والقيم العالمية

د. علي فضل الله*

بحسب عنوان الورقة المطلوبة، وبحسب الحجم والوقت المحددين، فإنه يتعذر تفكيك (Deconstruction) كل سرديات الصراع السياسية والقانونية. المتاح هو انتقاء بعض عناصر هذه السرديات، والكلام فيها باختصار. لكن يبقى أن قيمة غرف الفكر هذه هو القدرة على التحدث بوضوح وتحمّل نتائج الموضوعية غير الموضعية، على طريقة أمارتيا سين.

عنوان هذه الورقة يقيّد التفكيك بجهد تبرير الانتهاكات، وهذا يعيننا على عرض ما يلي:

1. القانون، وهو دراسة القواعد المجرّدة الملزمة الناطمة للسلوك في إطار معيّن، والتي يلحقها جزاء، رادع أو مانع، يهدف إلى نتيجة معلنة في المباني الأكاديمية والنقاش العام، وهو إيفاء الحقوق لأصحابها. لكن القانون يفيد، أيضًا، في تعلّم التجاوز على الحقوق بطريقة حقوقية، شأنه في ذلك شأن مجالات معرفية أخرى. لذلك، لا تخلو سلطة أو قيادة أركان جيش غربي أو عند العدو من مستشارين قانونيين يشيرون على رؤسائهم كيفية تنفيذ القرار السياسي بأقل الأضرار على مستوى الرأي العام. فالقانون لغة بيضاء يفهمها الجميع، وهو سلاح فعّال لا يمكن إغفاله، ونعتبر أن العنف القانوني هو أسوأ أنواع العنف.

2. الرأي العام، وهو رأي جماعة من الناس في قضية محددة في زمن محدد، بات بدوره محور اهتمام متصاعد. منذ استطلاع الرأي الأول لغالوب عام 1936، وتطور وسائل الإعلام التقليدية والجديدة، أصبح الوصول إلى كل عقل أمرًا متاحًا. فانطلقت جهود كبيرة لصياغة الرأي العام بما يناسب الطبقات الحاكمة، لا سيّما في الغرب، وهي تحقق نجاحات لا بأس بها في تصدير الصور والسرديات المطلوبة إلى قطاعات واسعة، بحيث يكون الأثر الفعلي للمعارضين في أضيق إطار. لقد توسع البحث في نظريات تحليل الخطاب (مقاربات التباين مثلًا)، وتطوير الآليات البرمجية لتفكيك اللغات، ومنها اللغة العربية المعقدة، وبتعاون بعض الأنظمة الخليجية، وإدخال خوارزميات محدثة لوسائل التواصل الاجتماعي، وربط المعلومات مع أنظمة التعرّف في المجال العام، واستخدام الذكاء الاصطناعي، وغيرها من الأساليب، وبالتالي، بناء

---

* محاضر جامعي وباحث.

قاعدة بيانات كبيرة تساعد في إعادة رسم نسبة كبيرة من الرأي العام، وأيضًا من تحديد الولاءات وتشخيص الأهداف.

بالأخذ بهذين الاعتبارين فقط، نصل إلى أمثلة على نماذج التبرير السياسي والقانوني للانتهاكات الجسيمة للقانون الدولي بكافة فروعه:

1. تهمة ارتكاب المجازر: خلال الأسابيع الأولى بعد عملية طوفان الأقصى، هيمنت على وسائل الإعلام ومنصات التواصل سردية واحدة، وهي ارتكاب الفلسطينيين لمجازر ضد "مدنيين"، وتم تناقل أخبار كثيرة، تبيّن كذبها لاحقًا، حول مجازر طالت غيرَ المقاتلين.
2. استدعاء إيران: لوحظ، أكثر من مرة، الكلام عن دور إيراني في ما يحصل في فلسطين، رغم تأكيد كل الأطراف على عدم مشاركة الجمهورية الإسلامية بقرار عملية 7 تشرين. انتقل الحديث بعدها إلى الحديث عن دور لإيران بخصوص المساندة اليمنية لغزة. الاستفادة الإسرائيلية من هذا الربط هو استجلاب الدعم الغربي وبعض العربي المعادي لإيران، وتوهين التماسك مع الفلسطينيين، ربطًا بالجهود الكبيرة السابقة لشيطنة إيران.
3. اللعب على الوتر المذهبي: لوحظ، لمرات عدة، تصدير خطاب مذهبي لإضعاف التضامن مع المقاومة الفلسطينية، باعتبار أن جهد المناصرة الأقوى جاء من دول ومنظمات لديها هوية مذهبية محددة. وحاولت وسائل إعلام اللعب على هذا الوتر أو تقديم سياسة تحريرية متحيزة، وهذا تكرر في غير موضع.
4. التحذير من التداعيات الأمنية: في أحد خطاباته، حذر بنيامين نتنياهو من خطر انتصار الفلسطينيين على وجود الأنظمة العربية، مع أن العكس قد يكون مطروحًا نظريًا. وقد نشرت صحف غربية، أكثر من مرة، مقالات عن طلب قادة عرب من "الإسرائيلي" إنهاء المقاومة الفلسطينية كي يتفرغوا لاحقًا للتطبيع، ولم يصدر نفي عن تلك الدول لهذه الأخبار.
5. دعوى مكافحة الإرهاب: وهي مفيدة لاعتبارات عدة. فكثير من الدول الغربية وبعض الأنظمة العربية تصنف منظمات المقاومة الفلسطينية على أنها إرهابية. وبالتالي، يسهل الترويج للعمل العسكري ضدها.
6. دعوى معاداة السامية: وقد كثر الكلام عنها، ومحاولة توسيعها لتشمل معاداة الصهيونية، وهو سيف مسلط فوق رأس كل معترض في الغرب بالحد الأدنى. وقد رأينا مشاهد غير مسبوقة في الكونغرس ضد رؤساء جامعات عريقة، أو في وسائل إعلامية ظهر أن قالبها مهني، لكنها ليست مهنية.

7. دعوى الدفاع عن الأمم "المتحضرة": تكرر الكلام في أن "الإسرائيلي" يدافع عن الدول "المتحضرة" والمتمدنة ضد الهمجية، وهو خطاب عفا عليه الزمن، إلا بالنسبة لأولئك الذين لا زالوا يختزنون استكبارًا فارغًا من عقود بائدة.

8. دعوى عدم ولاء فلسطينيي الـ 48: تبريرًا للإطباق الأمني على فلسطيني الـ 48، تمت محاصرتهم باتهام عدم الولاء للكيان، في ظل جنون مغذّى إعلاميًا شمل كثيرًا من اليهود في الداخل الفلسطيني. وهذا أسهم في فرض الاستبداد الداخلي ضد أي رأي مختلف داخل الكيان، كشرط من شروط إدارة الأزمة.

9. دعوى حق الدفاع عن النفس: هنا نأتي للقانون الدولي، حيث قدّمت سردية أن الكيان يدافع عن نفسه ضد هجوم مباغت من منظمات فلسطينية. أفضل رد هنا هو كلام أمين عام الأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش، الذي قال إن هجوم حماس له أسبابه، ولم يأت من فراغ. فشن عليه "الإسرائيليون" هجوم عنيفًا.

10. دعوى المبالغة في عدد الضحايا المدنيين: صدر كلام أميركي، في وقت ما، يشكك بالأرقام التي أعلنها الفلسطينيون حول عدد الضحايا في قطاع غزة. هذا التشكيك أفاد في إثارة الغموض بشأن أهم أهداف القانون الدولي الإنساني، وهي حماية المدنيين والأعيان المدنية. كما نتذكر التشكيك الأميركي والبريطاني الوقح بشأن استهداف مستشفى المعمداني، واستخدام اسم المستشفى الأهلي بحسب الرصد، تجنبًا للتذكير بهويته الدينية، منعًا لأي إحراج.

11. مفهوم الضرورة العسكرية: تم استخدام مبدأ الضرورة العسكرية بكثافة لتبرير الانتهاكات الجسيمة لقوانين النزاع المسلح، التي نشرح في القانون الدولي شروطَها الناظمة. أما "الإسرائيلي"، وعلى نسق الأداء الأميركي والغربي العسكري عمومًا، فإن استخفافه المروع بالقانون الدولي وبالمدنيين من السكان المحليين يؤدي بهم إلى تبرير أفعالهم وفق ادعاء استباقي (Preemptive) بل حتى وقائي (Preventive).

12. مفهوم الحرب العادلة والشرعية: من العجيب أن قادة الاحتلال كرروا أن حربهم هذه شرعية وعادلة. في القانون الدولي والتاريخ السياسي، نتحدث بتفصيل حول مفهوم الحرب العادلة (Just War Theory)، وحول شروط الحرب الشرعية (Legal War) والحرب المشروعية (Legitimate War)، وقد ألفنا كتابين في ذلك. أين مسوغات الحرب العادلة المدّعاة؟ وأين احترام قواعد الحرب الشرعية؟

لا يتّسع المقام لعرض إجابة وافية لهذه الأسئلة. لكن يمكن القول إن حرب الدفاع عن النفس لها شروطها، وهي أن يكون الهجوم داهمًا (Overwhelming) ومستمرًا، وأن لا يكون العدو مُثارًا، وإلا تكون الحرب انتقامية (Reprisal) وليست دفاعية، هذا عدا عن أصل إطلاقها وفق قواعد قانون الحرب (Jus ad bellum). أما الحرب العادلة، فقضية أخرى.

سُبل استعادة العمق العربي والإسلامي
والامتداد العالمي للقضية الفلسطينيّة
في مقابل تعامل الغرب الواسع مع "إسرائيل" على أنها جزء لا يتجزأ منه

د. محسن صالح*

الحديث عن سُبل استعادة العمق العربي والإسلامي والامتداد العالمي للقضية الفلسطينية، في مقابل تعامل الغرب الواسع مع "إسرائيل" على أنها جزء لا يتجزأ من هذا الغرب، يستدعي تسليط الضوء على عدد من النقاط أوجزها كالآتي:

النقطة الأولى: إن المشروع الصهيوني بطبيعته لا يستهدف فلسطين وحدها وإنما هو مشروع عالمي متحالف مع قوى غربية وبالتالي هذا المشروع لا يستهدف الفلسطينيين فقط بل هو عدوًا للأمة لكنه يتسلّل كالسرطان في قلب أمتنا العربية وأمتنا الإسلامية. هذا الكيان هو بطبيعته عدواني متغطرس وتوسعي وإحلالي واستيطاني وهو بالتالي معاكس للطبيعة الإنسانية المرتبطة بحقوق الإنسان الحقيقية وبالتالي من الطبيعي أن لا تكون مواجهته على أساس فلسطيني قطري فقط وإنما على أساس بنية الأمة ككل بل على أساس البُنى الإنسانية بشكلٍ عام.

النقطة الثانية: إن معركة طوفان الأقصى أثبتت للعالم أجمع أنه لا يمكن تجاهل أو تجاوز الشعب الفلسطيني عن طريق التطبيع الذي جرى الحديث حوله في الفترة الماضية وكانت هذه المعركة بمثابة الرد الحاسم على التصريح الذي أدلى به نتنياهو في الأمم المتحدة قبل حوالي ثلاثة أشهر قبيل المعركة بأنه يمكن تجاوز القضية الفلسطينية وأنه يستطيع أن يضعها جانبًا وأنه ليس كمثل الآخرين من الزعماء الصهاينة، وأنه هو من أمر بشن الهجوم على الفلسطينيين أولاً. وقد أثبتت المقاومة الفلسطينية الباسلة في هذه المعركة أن لا نتنياهو ولا أي من حكومات الكيان ولا أي قوة في العالم تستطيع أن تتجاوز القضية الفلسطينية والشعب الفلسطيني، وبالتالي فمسارات التطبيع تم إفشالها وإغلاق الباب في وجهها.

---

* مدير عام مركز الزيتونة.

النقطة الثالثة: لها علاقة بطبيعة القضية الفلسطينية وطبيعة القدس وأن هناك إجماعًا في الأمة على مركزية القدس ومركزية فلسطين كقضية لها أهميتها الدينية والجيوستراتيجية، وبما أن القدس قضية موحدة وجامعة للأمة كما أنها الرافعة والحافظة للنضال فلا يوجد جهة أو رمز أو حزب أو فصيل أو اتجاه اشتغل لصالح القدس سابقًا ولاحقًا إلا وارتفع في أعين الأمة وارتفع قدره بين الناس، ولا يوجد جهة أو نظام اشتغل ضدها إلا انخفض في أعين الأمة وفُضح وذهب إلى مزبلة التاريخ.

النقطة الرابعة: إنها البوصلة التي تحدّد العدو الأساسي للأمة، وهو العدو الصهيوني وتزيل كافة التناقضات الثانوية والصراعات الداخلية باتجاه العدو الأسوأ، وبالتالي فإن موضوع القدس هو موضوع مركزي، وعندما نتحدث عن استعادة العمل العربي والإسلامي، فهذه المعاني يجب أن تكون مستحضرة ونحن نعمل على تأسيس القاعدة لذلك.

النقطة الخامسة: بناءً على ذلك، إن بنية هذه القضية تدفع إذا أردنا أن نواجه المشروع الصهيوني باتجاه السعي للوصول إلى بناء مشروع نهضوي حضاري وحدوي في المنطقة. هذا المشروع يؤسّس لقيام حالة تستطيع أن تواجه المشروع الصهيوني وتحقق نوعًا من التكافؤ الاستراتيجي وحتى التفوق الاستراتيجي الذي يؤدّي إلى هزيمة المشروع الصهيوني. إذن قضية فلسطين ليست قضية الفلسطينيين فقط وإن كانوا هم الأساس وهم في الصف الأول وهم في المواجهة وهم على الثغر ودورهم كبير وعظيم، لكن تفتيت المشروع الصهيوني وإنهاءه هو مشروع أمة ومشروع منطقة الجهة الاستراتيجية المحيطة بفلسطين.

النقطة السادسة: أننا بحاجة ونحن نتحدث عن سُبل استعادة العمق العربي والإسلامي أن نركز على الخروج من فكرة القطرية إلى فكرة الأمة، لأن معظم حدودنا القطرية أنشأها الاستعمار ولا ينبغي أن تكون مشاعرنا وقراراتنا واتجاهاتنا بناءً على ما أورثه الاستعمار من حدود لنا، وهذه الحدود يفترض أن يُعمل عليها بشكل كبير.

وفي هذا السياق لا بد من العمل على الانتقال من النخبوية إلى البيئة الشعبية الجامعة بحيث تتحول ثقافة المقاومة وعمل المقاومة إلى حالة شعبية دائمة وجزءًا من التوعية والتنمية للإنسان العربي المسلم. كما ينبغي الانتقال من الموسمية إلى الاستمرارية وهنا يوجد تحدٍ كبير في استعادة موضوع العمق العربي والإسلامي، للتفاعل مع قضية فلسطين الذي عادةً ما يكون مرتبطًا ببيئة المقاومة أو الانتفاضة أو نتيجة ما يحدث عادة بشكل موسومي ثم ينخفض عن التفاعل. والتحدّي الكبير عندما

نتحدث عن موضوع العمق العربي والإسلامي هو كيف تصبح القضية الفلسطينية قضية يومية للإنسان العربي والمسلم وتصبح جزءاً من ثقافته لكي تتخذ طابع الاستمرارية.

النقطة السابعة: أننا في هذه القضية العربية- الإسلامية المحيطة بفلسطين نواجه تحدّيات كبرى في مواجهة العدوان الصهيوني الغربي الذي يسعى إلى تفكيكنا ثقافيًا وعرقيًا والدخول إلى عمق المنطقة عن طريق إثارة الفتن الطائفية والصراعات الداخلية، فكيف نرتّب أولوياتنا نحن بحيث نشكل جدارًا صلبًا ضد العدو الصهيوني وحلفائه حتى نمنع اختراقه للمنطقة ونسعى للوصول إلى الحالة الصلبة التي توفر لنا الأمان في مواجهته، وأنا اعتقد أن هناك ثلاثة شروط أساسية على الأقل فيما يُعرف بشاطئ الأمان ما دمنا لم نصل بعد إلى مشروع وحدة حقيقية وندخل في طموحات أكبر من الواقع. الأول هو أن نعمل على فكرة بناء شبكة الأمان في الجهات الاستراتيجية المحيطة بفلسطين، تكون عابرة للقارات. إن القوى المخلصة في هذه الأمة أي القوى المقاومة والقوى الفاعلة على الأرض يفترض أن تسعى لإنشاء شبكة أمان عربي- إسلامي تتساند في موضوع التنمية والنهضة وفي استخراج قدرات الأمة وكفاءتها للنهوض بهذه المنطقة، هذا أولاً.

وثانيًا، نحن بحاجة إلى شبكة أمان ضد الصراعات الطائفية والعرقية وكل ما يحرف الأمة عن بوصلة العداء للصهاينة، ويجب أن لا نستنزف طاقاتنا في صراعات طائفية وعصبية ويجب أن تكون لدينا شبكة أمان تمنع مثل هذه الصراعات وتوجهها دائمًا نحو العدو.

وثالثًا: يجب أن تكون هناك شبكة أمان ضد التدخل الخارجي وخصوصًا الغربي وحلفائه وضد القوى التي تسعى إلى إضعاف الأمة. وإذا عملنا هذه شبكات الأمان الثلاث هذه فسيكون لدينا فائض طاقة، وفائض الطاقة هذا يجب أن نصرفه ضد العدو الصهيوني، العدو الحقيقي للأمة.

النقطة الثامنة: أن نطرح هذه القضية في بُعدها الإنساني. هذه القضية لها أبعاد، هناك البُعد الفلسطيني الذي هو الأصل، وهناك البُعد العربي، وهناك البُعد الإسلامي وهناك البُعد الإنساني وهي أبعاد غير متعارضة بل متكاملة ومنسجمة ويجب أن تكون متساندة وتشدّ بعضها بعضًا ولا يجب النظر إليها على أنها متفاوتة الأهمية بل متساوية.

البَعد الإنساني هو بُعد ضروري لأن قضية فلسطين جوهرها قائم على الحق والعدل، وهي قيم إنسانية كبرى يمكن أن يجتمع عليها كل الناس. لذا نرى أن المليون ونصف الذين تظاهروا في لندن مثلاً، وفي غيرها من العواصم الغربية، يشكلون بداية تحوّل يحفز معظم الناس في الكرة الأرضية لتأييد القضية الفلسطينية.

بناءً على ذلك يمكن كسب الرأي العام الدولي، ليس بسبب ما يقدم به ضد الأمة فقط، بل بما يقوم به من دمار ويتسبّب به من كوارث ومن إراقة دماء مما يخلق عدم استقرار في البيئة العالمية، بحيث يوصم حقًا بأنه معادٍ للإنسانية ومعادٍ لكل القيم الأساسية ويجب أن يُنبذ من المجتمع الدولي.
النقطة التاسعة: موضوع التشبيك العالمي وهو موضوع يحتاج إلى تنظيم.

النقطة العاشرة: أن على الدول التي تدعم خط المقاومة أن تعمل أو تتعاطف معه على موضوع نسميه المنصات العالمية الجديدة. والحقيقة أنه على الرغم من كل ما عانيناه من موضوع الفايسبوك ووسائل التواصل فإن المحابة العالمية توظف هذه المنصات لصالح العدو الصهيوني وتمنع المحتوى الفلسطيني من العرض. أن أظن أنه يجب أن تكون هناك سُبل للتواجد على منصات عالمية تمنح المواجهة البديلة بعض ما تستحقه من إظهار لكسب الدعم العالمي لكن أظن أنه يوجد أمامنا مجهود يجب أن نبذله في هذا السبيل.

النقطة الأخيرة، تتعلق بتشبيك حركات المقاطعة ودعمها وحصار القوى المتسلّقة في كافة المجالات إعلاميًا وسياسيًا واقتصاديًا.

تطوير الأعمال
المساندة للمقاومة والشعب الفلسطيني
في المجالات السياسية والديبلوماسيّة والثقافية والإعلامية والشعبيّة

أ. فارس أبي صعب*

يَفترِض الحديثُ عن مساندة القضية الفلسطينية في مرحلة ما بعد طوفان الأقصى أن تكون هذه المساندة في حجم الحدث وتداعياته وفي حجم التحديات والتهديدات التي تواجه القضية الفلسطينية اليوم وفي المستقبل. لذا، يَفترِض هذا الأمر بدوره الانطلاقَ من مجموعة أسئلة في ضوئها تتحدّد سُبل المساندة وإمكاناتها.

1 - من أي واقع فلسطيني وعربي ودولي ننطلق لمساندة القضية الفلسطينية؟

2 - ما هي أبرز التغيرات التي أحدثها، أو ظهّرها، طوفان الأقصى، والتي يجب البناء عليها في مساندة القضية الفلسطينية؟

3 - ما هو الخطاب والخطوات العملية التي يُفترض أن تكون في حجم التحديات والتهديدات التي تواجهها القضية الفلسطينية في هذه المرحلة؟

4 - من هي القوى الفاعلة، السياسية والثقافية والاجتماعية، القادرة على مساندة القضية الفلسطينية وما هي الصيغ والأطر التنظيمية المناسبة لذلك؟

يرتكز المقترح الذي تقدمه هذه الورقة على مقاربة **الصدمة التاريخية** التي تُعنى بفهم وتفسير التأثيرات النفسية والنفس اجتماعية والإدراكية والسلوكية للأفراد والجماعات والاستجابة وردود الفعل التي تعقب الأحداث الكبرى الصادمة التي تترك بصمتها في التاريخ، وبالتالي التأثير في إعادة إنتاج الوعي الجماعي حيال قضايا متعلقة بتلك الأحداث. فعملية طوفان الأقصى وحرب الإبادة الجماعية التي تلتها في غزة أحدثتا صدمة تاريخية مزدوجة قلّما عرف العالم مثيلًا لها في التاريخ الحديث والمعاصر، صدمة تغيرت معها الكثير من المفاهيم العسكرية والاستراتيجية، وتحطّمت معها مسلّمات، وسقطت سرديات، وانتُهكت نُظم قيم وشرائع، ربما ستضع النماذج الفكرية لبعض الحضارات أمام أسئلة، أو حتى مساءلة، كبرى بعد الحرب.

---

* باحث ومدير تحرير في مركز دراسات الوحدة العربية.

لذلك، نحن نعيش اللحظة التاريخية المؤاتية لطرح الأفكار الكبرى والتأثير في شرائح ومجموعات واسعة من الرأي العام العالمي وفي الاصطفافات السابقة، ولإطلاق حركة عالمية لدعم القضية الفلسطينية؛ فصدمة تاريخية بهذا الحجم ستُحدث مراجعات على مستوى الأفكار الكبرى والمواقف المسبّقة والسرديات والصور النمطية السائدة واتجاهات الرأي العام، وتوفر اللحظة المؤاتية لإعادة تموضع شرائح ومجموعات واسعة من الشعوب والجماهير والنخب في مختلف بقاع الأرض. لكن هذا الاهتزاز الذي يعيشه العالم اليوم ليس أمرًا حتميًا انتقالُ العالم معه إلى حالة أفضل وحده، بل يجب أن يكون هناك من يدرك تحولات هذه اللحظة التاريخية وكيف يمكن أن تُقطف هذه الفرصة التي قلّما تتكرر في التاريخ.

1 - الواقع الفلسطيني والعربي والدولي والقضية الفلسطينية

ربما تكون القضية الفلسطينية من أكثر القضايا ظلمًا وتعقيدًا في التاريخ الحديث والمعاصر؛ فالوقائع والتوازنات الجيوسياسية التي استطاعت القوى الاستعمارية فرضها في المنطقة وفي العالم عقب الحربين العالميتين الأولى والثانية، لتصدير أزماتها الداخلية وفرض هيمنتها العالمية، وتشكُّل نظام إمبريالي تقوده الولايات المتحدة بعد الحرب الثانية (خطة مارشال، ونظام بريتون وودز) هي التي منحت المشروع الصهيوني إمكان النجاح والتحقق كمشروع استيطاني استعماري عنصري اقتلاعي وجعلت من مواجهة هذا المشروع في فلسطين والمنطقة مواجهة مع القوى الاستعمارية نفسها. وبالتالي، اتخذت المواجهة الرسمية العربية مع هذا المشروع والدعم الغربي له منحىً انكساريًا، منذ نكسة عام 1948 التي أُعلن معها قيام دولة "إسرائيل"، مرورًا بحرب عام 1967 التي انتهت بهزيمة عربية كبرى وبإقرار النظام العربي بحق "إسرائيل" في الوجود على أراضي 1948، ثم بحرب عام 1973 التي انتهت باتفاقيات كامب دايفيد وخروج مصر من دائرة الصراع العربي – الإسرائيلي، ثم بحرب 1982 التي وجهت ضربة قوية للكفاح المسلح الفلسطيني في الخارج، لكنها في الوقت نفسه أسست لولادة عصر جديد من المقاومة ضد "إسرائيل"، بدأت تؤسس لمعادلات جديدة للمواجهات العسكرية مع "إسرائيل"، وهي مقاومة وُلدت من خارج صندوق النظام الرسمي العربي.

لكن المنعطف الانكساري الأكبر في المنطقة بعد هزيمة عام 1967 كان حرب الخليج الثانية 1991، التي أسست لنظام رسمي عربي يخضع لنظام الأحادية القطبية بقيادة الولايات المتحدة الأميركية عقب انهيار الاتحاد السوفياتي، وينزع إلى التخلي عن القضية الفلسطينية، وهو ما تم التأسيس له في مسار أوسلو 1993 وحاولت الولايات المتحدة و "إسرائيل" استكماله وإزالة العقبات التي وضعت أمامه بالقوة، فكانت حرب العراق عام 2003 ثم حرب لبنان عام 2006، ثم جاءت تحولات الربيع العربي التي انتهت بتدمير أو إنهاك من تبقى من دول عربية ممانعة لمسار التطبيع وبإمساك الاتجاه التطبيعي المتخلي عن القضية الفلسطينية بالنظام الرسمي العربي وتفرُّده به.

لكن في ظل هذا المنحى العام للنظام الرسمي العربي كان مشروع المقاومة ينمو في لبنان وفلسطين بدعم من إيران وبعض من تبقّى من دول عربية ممانعة للتطبيع كسورية، وما لبث هذا المشروع أن توسّع إلى العراق واليمن في مراحل لاحقة. وهكذا نشأت المقاومة كحالة عسكرية وحيدة تقود الصراع في وجه المشروع الصهيوني ومشاريع الهيمنة الأميركية في المنطقة، مقابل جيوش عربية عاجزة أو غير معَدَّة ولا معبّأة لخوض حرب ضد "إسرائيل".

لكن المفارقة الإشكالية في هذه المعادلة هي أن المقاومة التي تمثل الطرف الوحيد باتخاذ قرار المواجهة العسكرية وبفعلها ضد "إسرائيل" والقواعد الأميركية في المنطقة لا تملك القرار السياسي، سواء في دولها أو على مستوى النظام الرسمي العربي عمومًا، ربما لأن فصائل المقاومة لم تعمل كفايةً على مراكمة عناصر القوة الكافية على المستوى السياسي كما راكمته على المستوى العسكري. لذلك حافظ النفوذ الأميركي والمسار التطبيعي لدى معظم الأنظمة العربية على زخمه حتى لحظة انطلاق طوفان الأقصى.

واليوم نحن أمام مشهد نظام رسمي عربي تطبيعي يعمل على إنهاء الصراع مع "إسرائيل" والتنازل عن كل الحقوق الفلسطينية والعربية، بالتزامن مع ذهاب "إسرائيل" نحو مزيد من التشدُّد والعنصرية وسياسة الاقتلاع بهدف تحقيق مشروع الدولة اليهودية الصرفة، مقابل حركة مقاومة تراكم خبراتها وعدتها العسكرية لمواجهة "إسرائيل" والمصالح الأميركية في المنطقة في ظل مشهد سياسي واقتصادي واجتماعي متداعٍ في كل الدول العربية التي نشأت فيها المقاومة.

2 - التغيرات التي أحدثها طوفان الأقصى حتى الآن: محليًا وعالميًا

في ظل الوضع الصعب الذي تواجهه القضية الفلسطينية فلسطينيًا وعربيًا ودوليًا، جاءت عملية طوفان الأقصى لتعيد فرض واقع جديد في ما يتعلق بهذه القضية على الساحات الفلسطينية والإسرائيلية والعربية والعالمية.

أ – فلسطينيًا، أعادت عملية طوفان الأقصى فرض القضية الفلسطينية كقضية محورية على الصعيدين العربي والعالمي، وأعادت حقوق الشعب الفلسطيني إلى يد المقاومة الفلسطينية بعدما كانت هذه الحقوق عرضة للمساومة والتنازل والتهميش على أيدي السلطة الفلسطينية والنظام الرسمي العربي، والدول الغربية بقيادة الولايات المتحدة التي تدير الملف الفلسطيني على الصعيد الدولي. وإذا لم تؤدِّ هذه العملية وحرب الإبادة الجماعية التي أعقبتها في غزة إلى إلغاء مشاريع التطبيع العربية مع "إسرائيل" فهي ستلجمها وتحدّ من توسعها على الأقل؛ كما أكدت هذه العملية تمسّك الشعب الفلسطيني بخيار المقاومة في مواجهة الكيان الصهيوني الرافض لأي تسوية تعيد للشعب الفلسطيني أي جزء من حقوقه، وهذا ما أدى إلى تعميق مأزق السلطة الفلسطينية التي بات إلغاؤها ضرورة تاريخية

لاستعادة الشعب الفلسطيني ومقاومته الإمساك بقرار النضال السياسي إلى جانب الكفاح المسلح، لتحرير فلسطين واستعادة حقوق الشعب الفلسطيني، وبناء الدولة الوطنية الفلسطينية المستقلة على كامل تراب فلسطين.

ب – إسرائيليًا، أدى طوفان الأقصى والحرب التي تلته إلى إحداث إصابات خطيرة في بنية الكيان الصهيوني المادية واللامادية وفي أمنه الوجودي؛ فانكشفت هشاشة هذا الكيان وتآكلَ تفوُّقُه الأمني والعسكري واستقراره السياسي والاجتماعي، وعجزه عن الدفاع عن نفسه بمفرده، فهو يستمد قوته وشروط بقائه من كونه كيانًا وظيفيًا في النظام الإمبريالي العالمي الذي تقوده الولايات المتحدة. كل ذلك ساهم في فقدان رعايا هذا الكيان من اليهود الثقة بدولتهم العبرية، وبمؤسستها العسكرية، وبمقولة المجتمع الآمن المحمي، كما يكشف زَيفُ سردية هذا الكيان وصورته على مستوى العالم. وقد أظهرت حرب الإبادة الجماعية التي يخوضها الجيش الإسرائيلي ضد غزة الوجه العنصري الهمجي لـ"إسرائيل" التي تسعى للقضاء على الشعب الفلسطيني، إما بالتهجير وإما بالقتل، وهي سياسة أخذت شخصيات حكومية "إسرائيلية" تعبّر عنها قبل عملية طوفان الأقصى بوقت طويل.

ج – عربيًا، أظهرت حرب الإبادة البشرية التي تخوضها "إسرائيل" ضد غزة مدى تخلّي معظم الأنظمة العربية عن القضية الفلسطينية، وعجزِ النظام الرسمي العربي حتى عن تقديم أبسط عناصر الدعم إلى الشعب الفلسطيني المحاصر في قطاع غزة، وتواطُؤ هذا النظام ضد المقاومة التي تدافع عن القطاع، بل ضد كل خيار المقاومة في المنطقة، حتى إن بعض الأنظمة والجيوش العربية لم تتردد في استخدام أسلحة الدفاع الجوي لديها لحماية الكيان الصهيوني من الضربات الصاروخية للمقاومة اليمنية. في المقابل لم يقم الشارع العربي بالحد الأدنى من الدور المطلوب منه دفاعًا عن غزة، على الرغم من هول المجازر وأعمال الإبادة الجماعية التي يقوم بها الكيان الصهيوني ضد أهلها؛ الأمر الذي يطرح الأسئلة حول أسباب خمول الشارع العربي وعدم القيام بدوره في دعم القضية الفلسطينية، وبالتالي عدم قدرته على إحداث تغيير داخل حكوماته أو أنظمته لمصلحة القضية الفلسطينية والصراع العربي – "الإسرائيلي".

د – عالميًا، كشفت عملية طوفان الأقصى وما تلاها من حرب همجية مدى الترابط الاستراتيجي بين "إسرائيل" والغرب، وعلى رأسه الولايات المتحدة، كما كشفت مدى أهمية الدور الوظيفي الذي تؤديه "إسرائيل" في مشروع الهيمنة الإمبريالية الغربية على العالم، بما فيه الشرق الأوسط. وكشف هذا الدفاع الغربي المستميت عن "إسرائيل" وتبرير وإباحة المجازر التي ترتكبها في غزة، مدى زيف الهوية الثقافية التنويرية والإنسانوية التي يقدّم الغرب نفسه بها ويخوض حروبه ومشاريع هيمنته في العالم تحت غطائها، ومدى السقوط الأخلاقي والقيمي والفكري للنظام الرسمي في الغرب ولدى الكثير من نخبه الفكرية والسياسية والثقافية والاقتصادية التي تبرر أبشع صور الإجرام والإبادة الجماعية في غزة

وتدافع عن السرديات المزيفة للكيان الصهيوني. لكن في الوقت نفسه، وهذا هو الأهم، أظهرت حرب غزة حدوث تحولات مهمة في الرأي العام الغربي، وبخاصة لدى جيل الشباب، بمن فيه الشباب الجامعي في الولايات المتحدة، الذي يتبنى رؤية جديدة للقضية الفلسطينية تتعدى كونها مجرد رد فعل على المجازر وصور آلاف الضحايا الأطفال في غزة، وتصل إلى حدود نسف السردية "الإسرائيلية" وتبني الحقائق التاريخية للقضية الفلسطينية بوصف فلسطين التاريخية هي أرض فلسطينية منذ آلاف السنين وأن "إسرائيل" هي دولة احتلال عنصرية اقتلاعية. حتى إن آخر استطلاع للرأي في الولايات المتحدة أظهر أن أغلبية واسعة من المستطلعين تؤيد إزالة "إسرائيل" وبناء دولة فلسطينية تقودها المقاومة الفلسطينية.

3 – ماذا نقول وماذا نفعل؟ من رد الفعل إلى الفعل

في ظل هذه التحولات التاريخية التي يشهدها الرأي العام العالمي لمصلحة القضية الفلسطينية، ما هي الخطوات الجدية المطلوبة لمساندة هذه القضية؟ هل نكتفي بإدانة الإبادة الجماعية التي تنفذها "إسرائيل" في غزة، ونبشر وندعو الناس إلى التظاهر والمشاركة في أنشطة مساندة للقضية الفلسطينية؟ هذا سيكون مجرد رد فعل على الحرب في غزة. كما أن التوقف عند حدود إدانة الإجرام الإسرائيلي فيه اعتراف بـ "إسرائيل" كونه يتوقف بدوره عند حدود إدانة السلوك فماذا عن إدانة ومحاربة جوهر المشروع الصهيوني ووجوده نفسه؟ هذا يعني أننا يجب أن نخرج من آليات رد الفعل وننتقل إلى الفعل، على أن يكون هذا الفعل في حجم التحدي والتهديد الذي يواجه القضية الفلسطينية وحجم الخطر الذي يمثله المشروع الصهيوني وكيانه العنصري الهمجي، وبالتالي، لن يقتصر الدور المطلوب منا اليوم على مجرد الدفاع عن غزة، بل سيشمل هذا الدور الدفاع عن الشعب الفلسطيني وبالتالي الدعوة إلى تحرير فلسطين. إذًا، نحن نبحث عن تأسيس حركة عالمية لتحرير فلسطين.

لقد حان الوقت لنقوم بتأسيس مقاومة سياسية عالمية تكون بحجم التحدي والتهديد الذي تمثله "إسرائيل" والصهيونية العالمية من جهة، وتليق بما قمنا به على مستوى المقاومة العسكرية من جهة أخرى. إن نسر المقاومة يحلّق بجناحين، جناح عسكري وجناح سياسي، وبمعنى آخر بقوتين، قوة خشنة وقوة ناعمة، لنواجه بهما قوة العدو الخشنة وقوته الناعمة في آن معًا.

وكما أننا نطور كل إمكانياتنا العسكرية لمواجهة القوة العسكرية للعدو علينا أن نطوِّر كل إمكانياتنا السياسية التي نواجه بها القوة السياسية المتفوقة علينا بامتياز لدى العدو، بدءًا بمواجهة الأنظمة والقوى السياسية المعادية والمنظمات الدولية، وصولًا إلى مواجهة الصورة والسردية والدعاية والتضليل والنموذج الحضاري والسياسي والقيم الاجتماعية والإنسانية ومعايير العدالة الاجتماعية والسياسات الاقتصادية والاجتماعية المدمرة المفروضة علينا...

لذا يمثل الهدف والشعار العام الذي يُفترض تحديده لحركة عالمية كهذه تحدِّيًا جديًّا، فأي حركة تحررية عالمية لا يمكن أن تطرح أنصاف حلول، أو حلولًا نصف عادلة، لقضايا الشعوب المحقَّة، وبخاصة إذا كانت القضية التي تدافع عنها هذه الحركة هي القضية الفلسطينية وإذا كان العدو هو الكيان الصهيوني الاستعماري العنصري الاقتلاعي، الذي لا يبدو أن هناك أنصاف حلول ممكنة مع صفاته، سواء صفة الاستعمار أو صفة العنصرية أو صفة الاقتلاع. لذا يُفترض بالشعار الأساسي لحركة تحررية كهذه أن يكون تحرير فلسطين من البحر إلى النهر وإنهاء الكيان الصهيوني الاستعماري العنصري الاقتلاعي من فلسطين وضمان عودة كل الشعب الفلسطيني إلى أرضه وبناء دولته المستقلة على أرضه التاريخية. هذا هو الخطاب الذي يجب العمل على خلق أو استقطاب تيار جماهيري عالمي لنصرة القضية الفلسطينية بناء عليه، على الرغم من كل التحديات والضغوط التي يمكن أن تواجه هذا التيار. يجب تعميم فكرة أن "إسرائيل" والصهيونية هما خطر على مجتمعات العالم كله، بما فيها مجتمعات الغرب نفسه، فكلما قويت "إسرائيل" وطغت زاد خطرها على الإنسانية جمعاء.

4 - الحركة العالمية لتحرير فلسطين: خطوات تنفيذية

الدعوة إلى عقد مؤتمر يستضيف مفكرين ونشطاء وإعلاميين متعاطفين مع قضيتنا، من مختلف مناطق العالم، من أجل إطلاق الحركة التي تضم نخبًا من مختلف الجنسيات والقطاعات المهنية والثقافية والفنية والأكاديمية، هذا هو الرد الذي يمكن أن يبدأ صغيرًا وينمو ويكبر ويحمل بداخله آليات نموه وانتشاره وتوسعه.

تكون الحركة مرنة ومتعددة المستويات التنظيمية، تبدأ بالتنظيم المؤسسي والإداري كمنظمة دولية فيها هيكلية إدارية وأعضاء منتسبون وتصل إلى مستوى الأصدقاء الناشطين على وسائل التواصل الاجتماعي، مع بعض المرجعيات التي تتولى تغذية الحركة بالمحتوى الكتابي والصوري والصوتي المتنوع، وبالأفكار والأنشطة التفاعلية التي تطور نفسها بنفسها، كما يمكن أن تؤدّي هذه الحركة دور جماعات الضغط على الحكومات والمؤسسات الأكاديمية والإعلامية لتبنّي حقوق الشعب الفلسطيني وإدانة العنصرية الصهيونية...

تدعو الحركة إلى إنقاذ العالم من عصر الهمجية. فما يحدث في غزة هو إعلان الحرب على كل إنجازات الحضارة البشرية من شرائع وحقوق إنسانية، بدءًا من شريعة حمورابي مرورًا بالشرائع السماوية وصولًا إلى شرائع حقوق الإنسان الأممية. ومن الضروري الربط بين "إسرائيل" وعصر الهمجية، فمواجهة الهمجية تعني بالضرورة مواجهة "إسرائيل" أو التخلُّص من هذا الكيان. وبالتالي، إن حركة كهذه لا يمكنها إلا أن تكون على تناقض وصراع واضحين ومبدئيين مع الإمبريالية الأميركية، التي يمثِّل الكيان الصهيوني إحدى أدوات هيمنتها في الشرق الأوسط.

ثانيًا: توصيات ومداخلات مكتوبة

1- مداخلة الدكتور عصام نعمان*

لأن مطامع "إسرائيل" بعيدة المنال وصعبة التنفيذ بسبب المقاومة الضارية التي تمارسها حماس وحلفاؤها في فلسطين ولبنان والعراق واليمن، فقد مدّد جو بايدن لبنيامين نتنياهو أسابيع إضافية لمحاولة تحقيقها. فما هي احتمالات نجاح أو فشل هذا المجهود الأميركي- الإسرائيلي، السياسي والعسكري، على الأرض في مواجهة أطراف المقاومة عمومًا؟

بات من الممكن الآن استشراف التحديات التي تحيق بالجانب المقاوم، أطراف محور المقاومة تحديدًا، عند توقف الحرب وشروع العدو بمحاولة تنفيذ أهدافه. أرى، وغيري ربما كثر، أن التحديات الماثلة وسُبل مواجهتها وتلبية الحاجات الناجمة عنها هي على النحو الآتي:

أولاً: بات واضحًا أن قوى المقاومة في غرب آسيا عمومًا وعالم العرب خصوصًا تواجه عدوين متحالفين ومتكاملين هما الولايات المتحدة الأميركية والكيان الصهيوني، وأنه محكوم عليها مواجهة هذين العدوين معًا. وقد تختلف مواجهة أحدهما تكتيكيًا، أي في النهج والوسائل والتوقيت عن الآخر، لكن لا اختلاف إستراتيجيًا بينهما في الهدف الأساس وهو مواجهتهما معًا لأنهما يشكّلان تهديدًا وجوديًا لشعوب الأمة ومصالحها ومطامحها العليا.

ثانيًا: سواء توقفت حرب الإبادة ضد الشعب الفلسطيني في مستقبل قريب أو بعيد فإن طوفان الأقصى، بجميع أطرافه الفاعلة، نجح في خلق حال جديدة نهضوية وسياسية وتضامنية على مستوى المشرق العربي وغرب آسيا كما على مستوى العالم برمّته. يمكن تسمية الحال الجديدة "زمن الشعوب المنتفضة" دفاعًا عن حقوق الإنسان عمومًا والحق في الحرية والعدالة وتقرير المصير خصوصًا، ذلك أن من شأن هذه الظاهرة العالمية المتصاعدة الإسهام في إجراء تغيير راديكالي في النظام الإقليمي الراهن بل في النظام العالمي منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية سنة 1945 الواقع، إلى حدٍ بعيد، تحت هيمنة الولايات المتحدة.

ثالثًا: صحيح أن انتفاضة الشعوب في شتى أنحاء العالم، لا سيّما في دول الغرب الأطلسي ضد الحرب الوحشية والعنصرية على الشعب الفلسطيني كانت عارمة وشاملة، إلاّ أن شموليتها وحرارتها الاحتجاجية كانت أدنى وأضيق في عالم العرب الأمر الذي يستوجب مبادرة القوى الوطنية والتقدمية بلا إبطاء إلى درس وتحليل تحديات الصراع في الحاضر والمستقبل بغية اجتراح تنظيم أو حركة على مستوى القارة

* كاتب ووزير لبناني سابق.

العربية برمّتها لتحديد التحديات التي تواجه شعوب الأمة ورسم نهج ووسائل وأدوات مواجهتها، وكذلك التنسيق بين مختلف القوى والتنظيمات العاملة محليًا في هذا السياق.

رابعًا: لا شك في أن إنجاز الأقلية المقاومة المبدعة في طوفان الأقصى قد هزّ وحرّك أكثرية شعوب الأمة الراكدة وأشعل فيها شرارة اندفاع غير مسبوق في تاريخها المعاصر وإن كان دون طموح قادة العمل الشعبي الطليعي ومتطلبات النهوض إلى تحقيق الأهداف العليا في الوحدة أو الاتحاد، والحرية، والعدالة، وحكم القانون، والتنمية، والإبداع الحضاري. مع ذلك، يمكن الترسمل على ما تحقّق حتى الآن من نهوض شعبي بغية تعميقه والتأسيس عليه لبناء إطار أو مؤتمر عربي جامع تنضوي فيه القوى الوطنية والتقدمية الحيّة والناشطة في شتى بلاد العرب، ليقوم من خلال قيادته المركزية ولجانه وخلاياه القطرية بتنفيذ الأهداف والمهام والأعمال الضرورية في النطاق المحلي أو على المستوى القومي العام.

خامسًا: إن مؤتمرًا عربيًا جامعًا يقود نضالاً طويل النفس ومنتجًا في شتى ميادين الحياة العامة، ومقاومة مدنية ناشطة رديفة للمقاومة الميدانية، جديرٌ بأن تكون له أهداف للمدى القصير والمتوسط وأخرى للمدى البعيد على النحو الآتي:

أ- إلغاء أو تعطيل معاهدات الصلح والتطبيع مع العدو الصهيوني.

ب- تصويب نضالات شعوب الأمة بتركيزها على مناهضة سياسات "إسرائيل الكبرى" و "إسرائيل الصغرى" معًا لكونهما عدوًا واحدًا يتناوبان الاعتداء عليها بحسب ما تقتضيه المصالح السياسية والاقتصادية.

ج- بناءُ مضمون جديد للعروبة بما هي هوية وثقافة أعلى من الروابط والعصبيات القطرية والمناطقية السائدة راهنًا، قوامها اللغة والمعتقدات والقواسم والمصالح المشتركة والتضامن في مواجهة الأعداء الخارجيين والأزمات الداخلية المعوّقة لأمن الوطن والأمان الاجتماعي والسلام.

د- تركيزُ النضال من أجل تحرير فلسطين التاريخية من النهر إلى البحر، وعودة شعبها المشرّد إليها وترفيعه من مستوى قضية العرب المركزية إلى مستوى القضية المركزية لعالم العرب وعالم الإسلام، وصولاً إلى جعلها أيضًا أولى القضايا الإنسانية في العالم المعاصر.

هـ- تفعيل الزخم والجدّية لتنفيذ قرار مقاطعة المنتجات المصنّعة في الدول المعادية للعرب والمتحالفة مع الكيان الصهيوني العدواني، وجعل قيادها بأيدي الشعوب وليس الحكومات المتحالفة أو المتهادنة مع العدو أو المقصّرة في تنفيذ موجباتها الوطنية والقومية والإنسانية.

و- تعزيز الضغوط السياسية والشعبية لحمل الدول العربية التي تمتلك فوائض مالية كبرى على توظيفها في دول عربية بحاجة إلى التنمية والإعمار، أو في دول صديقة غير معترفة بالكيان الصهيوني أو متعاونة معه.

ز- تحضير المستندات والوثائق اللازمة لمطالبة الولايات المتحدة و"إسرائيل" بالتعويضات اللازمة عن جريمة تصفية سكان قطاع غزة والضفة الغربية، وإقامة الدعاوى اللازمة أمام المحاكم الدولية ذات الصلة وأهمها المحكمة الجنائية الدولية.

ح- الدعوة إلى عقد مؤتمر عالمي في الجزائر للقوى والهيئات والحركات المعادية للاستعمار والهيمنة الأجنبية، السياسية والاقتصادية، والناشطة من أجل حقوق الإنسان وحق تقرير المصير، يكون في صدارة جدول أعماله إعادة تكريس الصهيونية حركة عنصرية نازية معادية لحقوق الإنسان والحرية وتقرير المصير.

ط- التواصل مع حركات التحرير الوطني وحقوق الإنسان والعدالة الاجتماعية في العالم من أجل تحقيق الأهداف المشتركة.

هذا أقل ما يمكن اعتماده من أهداف ومهام والنهوض بها بعد فجر طوفان الأقصى.

2 – مداخلة الأستاذ علاء المولى*

يشكّل الاعتماد شبه الحصري على المقاربات الجيوبوليتيكية سلوكًا منهجيًا سوف يقود حتمًا إلى نتائج واستنتاجات تنتمي إلى عالم "الواقعية السياسية"، فتضيع جرّاء ذلك الفرص التي يتيحها التاريخ وتناقضات سيرورته واحتمالات صيرورته ربطًا بحركة الشعوب ونضالاتها وقدرتها على التضحية.

كما أن الجيوبوليتيك هو، عادة، سلاح السلطة/الدولة/الاستعمار/الاحتلال، تأخذه الشعوب بعين الاعتبار لكن قواها الطليعية المحاربة لا تقع أسيرته بل ترفع في وجهه، في حالة فلسطين، فكر التحرر الوطني وتقود الحرب الوطنية الكبرى أو حرب الشعب طويلة الأمد. وهذا ما كان غائبًا قبل طوفان الأقصى، قبل أن يعود معه ليحضر بقوة، ومسؤوليتنا هي تعزيزه وتعميقه وتطويره، وليس مجاراة محاولات احتوائه من زاوية الواقعية السياسية.

هناك نتائج واضحة وجلية ظهرت في امتداد العدوان على غزة، لا يوجد أي مبرر للحذر أو التردد في توصيفها. بل إن إحدى أبرز المهام أمامنا ينبغي أن تكون التصدي لمحاولات طمسها. الكيان أداة الغرب وصنيعته، وهما حقيقة واحدة، وليس صحيحًا القول بأن هذا الغرب، الآن، "يسعى لدمج الكيان دمجًا تامًا في الغرب الواسع بل جعله ركنًا أساسيًا فيه".

لقد انكشف الأمر أخيرًا بعد أن نجح الغرب في تغطية هذه الحقيقة بمعاونة الأنظمة التابعة والقوى المتغربة، فهل ننجرّ إلى تغطية ذلك، مرة جديدة؟ ماذا نحتاج بعد لفهم ذلك أكثر مما شهدناه من حج أميركي وأوروبي إلى الكيان والمشاركة في اجتماعات حكومة حربه وإرسال الأساطيل وانكشاف أعداد حاملي الجنسية المزدوجة خصوصًا في الجيش والرخصة المفتوحة التي مُنِحوها للقتل؟ ماذا ننتظر أكثر من ذلك، لاعتبار حكومات الغرب المعنية عدوًّا صريحًا لنا؟ هل نشيح الأسماع والأبصار عما يقولونه ويفعلونه عمدًا، بحجة الواقعية السياسية أو القراءات الجيوبوليتيكية؟ كيف سنختلف، في هذه الحالة، عما كانت تسوّقه الأنظمة العربية التابعة من أنه يجب بذل جهد مع أميركا لإقناعها بعدالة قضايانا وأن المشكلة هي في ضعف اللوبي العربي؟ الإنجاز الذي أهدانا إياه الدم الفلسطيني، الذي يجب أن نتوقف عن استسهال هدره، هو انكشاف حقيقة الغرب والكيان ووحدتهما. ومؤدّى ذلك في السياسة الرفض القاطع لاعتبار أي من الدول المعنية مؤهلة لأدوار وساطة أو السماح لها بارتداء قناع الصداقة. أما عودة الأمور إلى ما كانت عليه في العلاقات مع الدول فسوف تشكّل أحد معالم الهزيمة المعنوية والنفسية قبل السياسية. وإذا كانت إيران دولة، فإن بقية أطراف المحور ليسوا كذلك.

---

* كاتب لبناني.

تعاطف قسم من الشارع الغربي أسبابه الأساسية مزيج من المواقف الإنسانية بسبب هول المقتلة المنقولة عبر شاشات التلفزة وانكشاف الحقائق عبر الإعلام البديل وانكشاف كذب ونفاق السرديات الرسمية الغربية. بالمقابل فإن ضعف تحرّك الشارع العربي يعود خصوصًا إلى موقف وسيطرة الأنظمة التابعة على شعوبها، لكن التحركات التي حصلت كانت تعبّر عن مشاعر قومية إضافة إلى المشاعر الإنسانية. هذه الملاحظة السريعة هي مدخل للتشديد على أن طوفان الأقصى والعدوان ومجرياته وآثاره القريبة والبعيدة تشكّل فرصة لإعادة تشكيل الوعي العربي بناء على الوقائع التي طُمست خلال العقود الثلاثة الماضية.

إن التجزئة والكيان، كآخر استعمار مباشر في العالم، هما جذر المسألة، فإذا غاب ذلك عن المشروع القومي التحرري انزلق النضال إلى ما لا يفيد مهما عظمت التضحيات. لذلك ينبغي الانطلاق من أن ما حصل زخّم مشروع تحرير فلسطين وفتح أفقًا أمام مشروع التحرر الوطني/القومي العربي وليس الفلسطيني فقط. وهذه مسألة جوهرية لا نسوقها حماسة أو رغبة، بل نتيجة فهم الترابط العميق والقوي بين بقاء الكيان وأسر مستقبل بلادنا وشعوبنا. أيضًا وأيضًا، فإن القناعة التي يجب ترسيخها ليست محورية ومركزية القضية الفلسطينية، حتى لو استعادت شيئًا من حضورها بفعل الطوفان وهو حضور يمكن أن يتلاشى أسرع مما نتوقع بل علينا ترسيخ فكرة أن الاحتلال/الاستعمار الصهيوني هو القضية المركزية وذلك لأسباب عديدة أهمها تحديد أفق النضال وثمن التضحيات المطلوبة ولكن أيضًا إغلاق باب المتاجرة بالقضية الفلسطينية على ما يفعل أمثال

أردوغان وحكام التبعية للخارج. هذا مع الإشارة إلى أن الأجيال الشابة في الغرب عمومًا تستوعب فكرة النضال ضد الاستعمار، باعتباره حالة مؤقتة ينبغي أن تزول.

من المهم جدًا نبذ الكيانية في التفكير والممارسة، لأن منطقها الطبيعي سوف يقود دائمًا إلى "لبنان أولًا" و "العراق أولًا" الخ.. لكن الأهم أنّ نبذها شرط لإعادة إحياء المشروع القومي بصفته الرد الطبيعي على التجزئة، بغضّ النظر عن شكله ومضامينه الأخرى. فطالما أن غزة فلسطينية، يصبح السؤال عن كلفة التضامن "الخارجي" معها، بما فيه اللبناني، سؤالًا مشروعًا. فكيف إذا كان، فوق ذلك، أفق الحرب – لا إحدى محطاتها- تسوية وتقاسم نفوذ بدل التحرير الكامل وإزالة الكيان واستكمال معركة كسر الهيمنة؟

حرب الغرب علينا هي حرب الإمبريالية للحفاظ على هيمنتها على مقدّرات ومستقبل منطقتنا وشعوبنا، ومثل هذه الحرب تواجه بالنضال لكسر الهيمنة وضرب أدواتها تمهيدًا لإنجاز الاستقلال الحقيقي وتكريس سيادتنا. لقد دفعنا ثمن ذلك مسبقًا في مواجهة أداتها الصهيونية، ولا نزال، والمهم ألا نسمح بتوظيف التضحيات في ما هو دون ذلك.

إن أعظم تثمير لإنجاز "طوفان الأقصى" هو في جعله قفزة كبرى على طريق إزالة الكيان وتحرير فلسطين وجميع الأراضي العربية المحتلة وتزخيم مشروع التحرر الوطني العربي. وهذا التثمير ممكن، وواقعي.

ثالثًا: التعقيب والنقاشات

أبرز الأفكار والمداخلات التي قدّمها المشاركون:

تداعيات عملية 7 تشرين الأول/ أكتوبر والحرب على غزة:

- عملية طوفان الأقصى وحرب الإبادة الجماعية التي تلتها في غزة أحدثتا صدمة تاريخية مزدوجة قلّما عرف العالم مثيلًا لها في التاريخ الحديث والمعاصر وتغيّرت معهما الكثير من المفاهيم العسكرية والاستراتيجية وتحطّمت مسلّمات وسقطت سرديات وانتُهكت نُظم قِيَم وشرائع ربما ستضع النماذج الفكرية لبعض الحضارات أمام أسئلة أو حتى مساءلة كبرى بعد الحرب (تنطبق على ذلك نظريًّا مقاربة الصدمة التاريخية Historical Trauma).
- طوفان الأقصى نجح في خلق حالة جديدة نهضوية وسياسية وتضامنيّة على مستوى المشرق العربي وغرب آسيا.
- إذا لم يؤدِّ طوفان الأقصى وحرب الإبادة الجماعية التي أعقبته إلى إلغاء مشاريع التطبيع العربية مع "إسرائيل" فهي ستلجمها وتحدّ من توسعّها على الأقل.
- إنجاز الأقليّة المقاوِمَة المبدعة قد هزّ أغلبية شعوب الأمّة الرّاكدة وأشعل فيها روح النهوض.
- مهما كانت نتائج الحرب فلن يستطيع العدو ترميم آثار عملية طوفان الأقصى التي سيكون في طليعتها بدء الهجرة المعاكسة من الكيان.
- عملية طوفان الأقصى سرّعت في التحوّل الذي يشهده النظام الدولي بحيث أصبح هناك أميركا و "إسرائيل" من جهة وباقي القوى العالمية التي تطالب بوقف إطلاق النار من جهة ثانية.
- أظهر العدوان على غزة استنتاجات يجب تعزيزها في طليعتها انكشاف الغرب أخلاقيًا وإنسانيًا وقانونيًا.
- أظهرت حرب غزة حدوث تحوّلات مهمّة في الرأي العام الغربي، وبخاصة لدى جيل الشباب، بمن فيه الشباب الجامعي في الولايات المتحدة، الذي يتبنّى رؤية جديدة للقضية الفلسطينية تصل إلى حدود نسف السّردية الإسرائيلية وتبنّي الحقائق التاريخية للقضية الفلسطينية.

- كان ينبغي على المقاومة أن تقدّم روايتها التي تؤكّد مسؤولية العدو عن مقتل المستوطنين في الأيام الأولى من طوفان الأقصى لما لذلك من انعكاس على تقييد اليد الإسرائيلية في ارتكاب المجازر.

- قوى المقاومة (في المنطقة) لم تعمل كفايةً على مراكمة عناصر القوّة الكافية على المستوى السّياسي كما راكمته على المستوى العسكري ولذلك حافظ النفوذ الأميركي والمسار التطبيعي لدى معظم الأنظمة العربية على زخمه حتى لحظة انطلاق طوفان الأقصى.

التصعيد والوضع الإقليمي:

- السؤال المركزي الذي يطرح نفسه يتمحور حول ما إذا كان محور المقاومة خارج فلسطين أصبح جاهزًا للمواجهة الكبرى.

- السؤال المهم الذي ينبغي على قادة محور المقاومة أن يجيبوا عنه هو كيف يستطيعون أن يحوّلوا اللقاء الموضعي الهام والتاريخي في غزة إلى إجماع وجبهة موحدة.

- الاصطدام مع الأميركيين لا ينبغي أن يكون محل رهبة من قبل محور المقاومة ذلك أن المواجهات خيضت معهم سابقًا في العراق وأفغانستان والآن في أوكرانيا ويجب أن يدفعوا ثمنًا لدعمهم الأعمى للعدو.

- قراءة الموقف التركي خلال السنوات الأربع الماضية وسعيه إلى تطبيع العلاقات مع "إسرائيل" تشعرنا بالاستياء لكن لا تفاجئنا إزاء موقف أردوغان من الحرب على غزة.

مقترحات وتوصيات:

- نحن نعيش اللحظة التاريخية المؤاتية لطرح الأفكار الكبرى والتّأثير في شرائح ومجموعات واسعة من الرّأي العام العالمي وفي الاصطفافات السّابقة، وعليه ينبغي إطلاق "حركة عالمية لدعم القضية الفلسطينية وتحرير فلسطين".

- يجب أن نخرج من آليات ردّ الفّعل وننتقل إلى الفعل، بحيث لا يقتصر الدور المطلوب على مجرّد الدّفاع عن غزة، بل يجب أن يشمل الدعوة إلى تحرير فلسطين.

- اللحظة مؤاتية لإعادة تموضع شرائح ومجموعات واسعة من الشعوب والجماهير والنّخب في مختلف بقاع الأرض، لكن الاهتزاز الذي يعيشه العالم اليوم ليس حتميًا أن يفضي إلى حالة أفضل وحده بل يجب أن يكون هناك من يدرك تحوّلات هذه اللّحظة التّاريخية.

- ينبغي بذل الجهود لإبقاء قضية فلسطين حيّة وتفنيد الرواية الغربية وتكريس مصطلحات مقابل ما يسمّى معاداة السامية من قبيل "إنكار النكبة".

- يجب بذل جهود على صعيد صياغة السّرديات الخاصة بالقضية الفلسطينية وتحديدًا حول ما يجري في غزّة ولا ينبغي أن يقتصر ذلك على فترات الحروب الإسرائيلية بل يجب أن يتعدّى ذلك إلى النّضال المستمرّ وأعمال المقاومة اليومية لتحصيل الحق الفلسطيني. على سبيل المثال يمكن تنظيم مؤتمرات من قبيل "فلسطين بعد "إسرائيل" مقابل سردية "غزة بعد حماس".

- ينبغي التّأسيس على النّهضة الشعبية المستجدّة وتنظيم مؤتمر عربي دائم من خلال قيادة مركزية تنفيذ الأهداف المشتركة على المستويات المحليّة والعربيّة أبرزها:

  - إلغاء اتفاقات التطبيع مع العدو الإسرائيلي.
  - بناء مضمون جديد للعروبة بما هي ثقافة أعلى من العصبيات المناطقية والطائفية.
  - تركيز النّضال من أجل تحرير فلسطين التاريخية وعودة شعبها من الشّتات ورفع مستواها إلى مصافّ القضية المركزية للعرب.
  - تفعيل الرّخم لمقاطعة منتجات الدول الداعمة للعدو الإسرائيلي.
  - تعزيز الضّغوط الشّعبية لدفع الأنظمة العربية الغنيّة للمساهمة في إعادة إعمار غزة.
  - عقد مؤتمر عالمي (يمكن أن تستضيفه الجزائر) للقوى المعادية للاستعمار في صدارة جدول أعماله إعادة تكريس الصهيونية حركة نازية عنصرية معادية للإنسانية.

- العمل على تركيز فكرة أنّ مواجهة الاحتلال والاستعمار الصهيوني هي القضية المركزية مما يساعد على فتح أفق النّضال ويغلق باب المتاجرة بالقضية الفلسطينية على بعض المتسلّقين.

- العمل على إنشاء الجبهة العربية الإسلامية لمواجهة المشروع الصهيوني مع تسجيل أهمية اختيار اللغة والمفاهيم التي تنسجم مع الرأي العام العالمي.

- يجب المبادرة إلى تشكيل المقاومة الفلسطينية أُطرًا من الأكاديميين للتواصل مع مراكز القرار في العالم بما في ذلك الفاتيكان فرغم فعل المقاومة الكبير في 7 أكتوبر فهي تبدو معزولة وينبغي أن تعمل للخروج من الشرنقة.

- العمل على التّشبيك مع مراكز الدراسات في الدول العربية والإسلامية لمناقشة القضايا المرتبطة بالقضية الفلسطينية.

- البناء على تعزيز الحسّ الإنساني الذي حرّك الرأي العام الغربي تجاه القضية الفلسطينية وعدم السماح بتركه ينسى مع مرور الوقت.
- تجزئة الجرائم التي يرتكبها الاحتلال في فلسطين هي بمثابة تآمر على القضية وبالتالي ينبغي آخذ السياق التاريخي التراكمي بعين الاعتبار من أجل تثبيت الإدانة وإثبات وقوع جريمة ممنهجة واسعة النطاق.
- المبادرة إلى دعوة عدد من الشخصيات لبلورة طرح على مستوى العالم العربي والإسلامي وتاليًا العالمي يساهم في إحياء القضية الفلسطينية.
- يجب تعزيز التواصل مع قيادة المقاومة ببعدها اللبناني والفلسطيني والإيراني من أجل إيصال ما يطرح على صعيد النهضة المتجدّدة التي أحدثها طوفان الأقصى.

الأعداد السابقة

العدد	العنوان	التاريخ
1	المشهد الفلسطيني على ضوء استئناف المفاوضات والتطورات الإقليمية	كانون الأول 2010
2	التوجهات الجديدة لسياسة تركيا الخارجية	كانون الثاني 2011
3	ثورة الشارع العربي: بداية نقاش	آذار 2011
4	التعليم ما قبل الجامعي في لبنان: نحو استراتيجية وطنية	آذار 2011
6	أوروبا والتحولات في العالم العربي	تشرين الأول 2011
7	الضمان الصحي الشامل في لبنان بين الممكن والمرتجى	نيسان 2012
8	الرأسمالية المتأخرة وتأثيرها على بلدان العالم الثالث: مشكلة المياه نموذجًا	آب 2012
9	مجلس الامن والتدخلات الخارجية : رؤية قانونية في طبيعة حق النقض وشروط استخدامه	تشرين الثاني 2013
10	الموجبات السياسية والاصلاحية لتكيف لبنان مع الازمة الراهنة وسبل التعامل مع تحدياتها	آب 2014
11	القوى العالمية في بيئة متحولة: نحو استقطاب دولي جديد	نيسان 2015
12	انعكاسات احداث باريس على السياسة الفرنسية الداخلية وتجاه المنطقة	كانون الثاني 2016
13	روسيا وأميركا في المنطقة: حدود التوافق والاختلاف	تموز 2016
14	التكتلات السياسية والامنية في غرب آسيا	تموز 2016
15	العهد الجديد في مواجهة تحديات الاصلاح	شباط 2017
16	غرب آسيا في عالم ما بعد الأحادية الغربية، تحديات المرحلة الانتقالية	آذار 2018
17	الاتجاهات الاستراتيجية، الشرق الأوسط 2019	كانون الثاني 2019
18	المواجهة الصينية – الأميركية، الأبعاد الجيوسياسية والاقتصادية والتكنولوجية	آذار 2019
19	دور القوى المناوئة للهيمنة	تشرين الثاني 2019
20	خيارات الجمهورية الإسلامية الإيرانية بعد العدوان الأميركي	آذار 2020
21	إعادة هيكلة القطاع المصرفي؟ الخيارات والآليات	أيلول 2021
22	كيف يمكن تفسير الهبّة الجماهيرية لفلسطينيي 1948 وفهمها في خضم معركة سيف القدس	أيلول 2021
23	استثمار المصادر المائية للمنطقة الساحلية في لبنان، الخصائص والإمكانيات	كانون الثاني 2022
24	النقل العام في لبنان: مقاربات عملية لمواجهة تحدّيات النهوض بالقطاع	حزيران 2022
25	دور الإدارة المحليّة في تسهيل حلّ مشكلة الكهرباء في لبنان	آب 2022
26	المياه الضائعة ودورها في ردم الفجوة المائية في لبنان	كانون الثاني 2023
27	السياسة الخارجية التركية في الولاية الجديدة لأردوغان... حدود الاستمرارية والتغيّر	تموز 2023

The Consultative Center for Studies and Documentation

Themes and debates

A series non-periodic means to approach different strategic and development issues

Operation Al-Aqsa Flood

Reading in Challenges Narratives of Conflict and Supporting Roles

2023

No 28 - December 2023